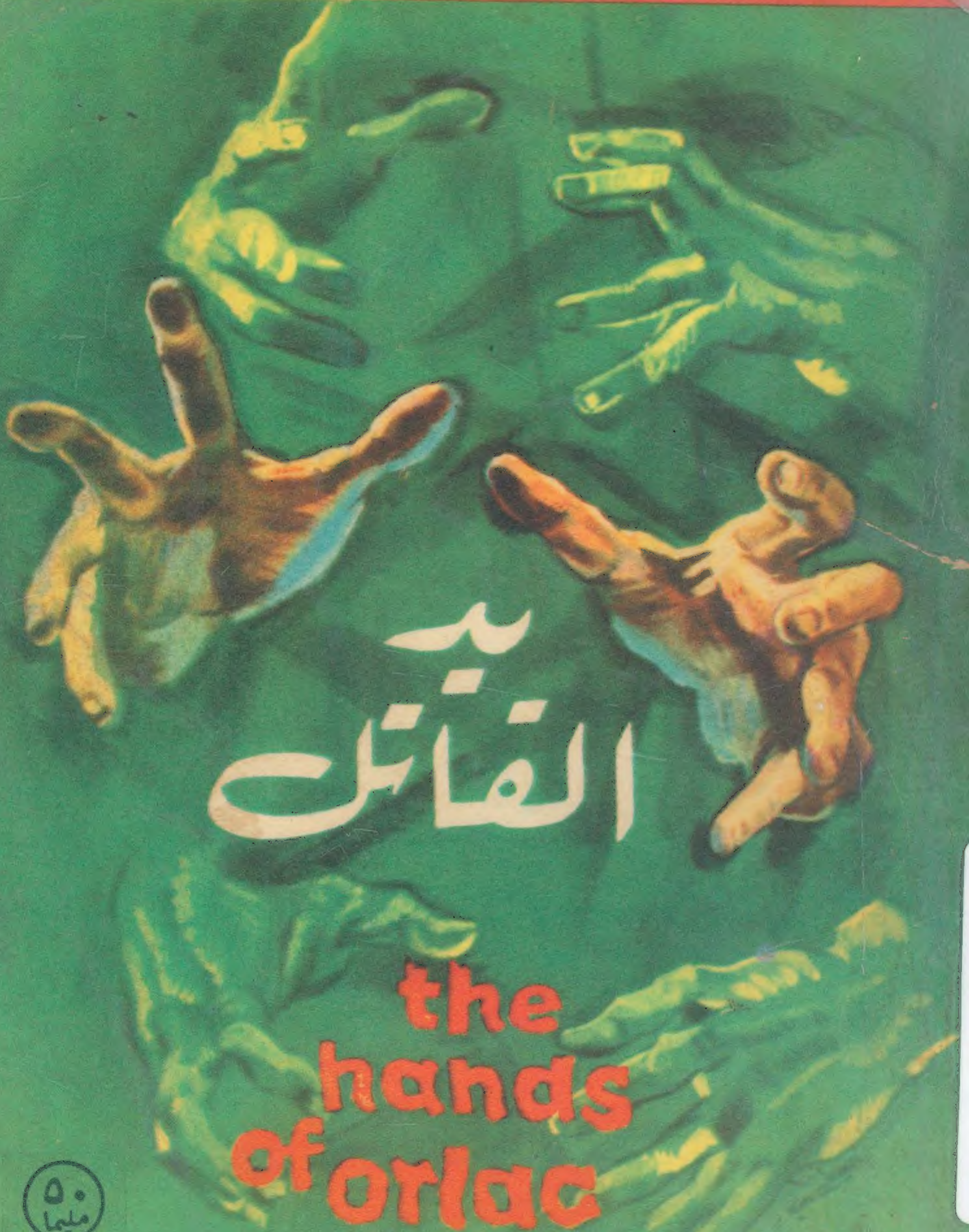


عالمية



روایات



إهداء 2006

الدكتورة / امانى عبد الرازق خاطر
الإسكندرية

روايات
عالمية



للكتاب الانجليزي
روبرت يتمان
ترجمة احمد عادل



كان ستيفن أورلاك يعزف على البيانو وهو لا يكاد يشعر بأصابعه . . كان يعزف إحدى مقطوعات ليزت - الفانتازي . . وكانت هذه المقطوعة أثيرة مفضلة ، لا عند جمهور الحاضرين فحسب ، بل عند أورلاك أيضا .

كان أورلاك ينحنى على البيانو بجسمه الأسمر المفتول ، وملامحه الحساسة تتحفز في انتظار ختام الجزء الذي يعزفه الاوركسترا ليهوى بأصابعه على البيانو . وكانت أصابع البيانو أمامه تتوهج بالضوء . لكنه لم ينظر اليها منذ جلس يعزف . كانت أصابعه تعرف ملمسها تماما مثلما تعرف ملمس جسده . كانت الألحان تستجيب له طيبة بفضل عبقريته وبفضل سنوات طويلة من المرات الشاق على أيدي أساتذة أوربا العظام .

ومن المقاعد المكتظة الممتدة الى نهاية القاعة اكتسحته موجة من التصفيق الحاد . فقام وانحنى للجمهور أولا ثم لقائد الاوركسترا ثانيا ، والأصداء الأخيرة للحن تتبدد من ذهنه لتخطر على باله لويز ! .

لويز ' . لا شك انها الآن في البيت ، ولعلها تقف الآن أمام الدولاب في غرفة النوم المظلمة على اسطح باريس وعلى السين ، لعلها تنتقى الآن الملابس الملائمة التي سترتديها في رحلتها بالسيارة الى مطار ليبورجيه . . انحنى مرة أخرى وضجت القاعة بتصفيق جديد كاد يصم أذنيه . فرفع يديه محييا ، واسترق النظر في الوقت نفسه الى ساعة معصمه . ثم انحنى مرة ثالثة ، لكنه تحول هذه المرة ليركز انتباه الجمهور وتحيته على قائد الاوركسترا - ريمشتين - وعلى ذلك الرجل المشوق - عازف الكمان الاول . وبعد اتحناءة ختامية أسرع وراء الستار وهو يحل رباط عنقه ويفك أساور اكمامه .

وما لبث أن توقف وتحلقه عدد من الصحفيين أخذوا ينهالون عليه بالأسئلة ..
- يا مسيو أورلاك ..

حدثنا عن رحلتك في الولايات المتحدة يا مستر أورلاك ؟ ..
- زواجك يا مستر أورلاك ! . هل يمكن أن تدلى إلينا بتصريح بشأنه ؟ .

لم يستطع أورلاك أن يفكر في شيء سوى الثوانى التى تمر محمولة .. سوى الحاجة الى أن يصل الى سيارته فى خلال خمس دقائق ليضمن ركوب الطائرة اذا أراد أن يلحق بلويس الليلة ..

وصاح به صوت :

- تعال من هنا يا ستيفن .. بسرعة .

وتحول نحو الصوت فلمح رأس سيدلمان البيضاء تتحرك بين الكاميرات التى أشرعها مصورو الصحف .. كان سيدلمان متعمد حفلاته ، فأخذ أورلاك يتفحص وجهه الهادئ . الذى كانت ملامحه أصدق تعبير عن مدى نجاح الحفل من كتابات النقاد .

وقال سيدلمان :

- من هنا يا ستيفن ..

وتحرك الى الامام بخفة وبلا تردد ، ليقوم بأكبر مهمة من مهام عمله . وهى مساعدة الفنانين على الهرب ، واحتجز المصورين وترك فراغا على الجانبين يستطيع أورلاك أن يخفض رأسه ويمرق من أحدهما الى غرفة الملابس .

تقدم أورلاك بسرعة وهو يقول :

- أشكرك يا صديقى .. واستطاع أن يلتقط همسته فى أذنه وهو يمرق بجواره : لقد كنت عظيما يا ستيفن .. رائعا .

شكره مرة أخرى ووصل الى باب الغرفة .. فوضع يده على مقبضه ثم تحول الى الصحفيين الذين لاحت عليهم خيبة الامل وقال :

- اننى آسف أيها السادة .. ربما نلتقى فى وقت آخر ..
سيشرح لكم ميسيو سيدلمان كل شىء .. ارجوك يا مورييس ان
تدلى اليهم ببيان ..

- بيان ؟ ا . بيان عن ماذا ..
فدفع اورلاك رأسه الى الوراء مزهوا .. انه لا يعبأ الليلة
بشىء ..

- بيان عن أى شىء .. قل لهم لماذا انا الآن أبدو فى عجلة ..
قل لهم .. اوه .. انك تستطيع ان تقولها بالانجليزية افضل مما
استطيع ! .

وآدار المقبض وفتح الباب وانسل الى الداخل ، ثم أغلقه
واحكم مزلاجہ . فى نفس الوقت الذى شرعت فيه الايدى تقرع
فى طلب الدخول ..

أخذ اورلاك يخلع ملابسه ويلقى بها هنا وهناك .رمى برباط
عنقه فى ركن ثم ألقي بسترته على طرف مائدة : وهو يتخيل
سيدلمان يلتقطها ويعنى بها بعد رحيله . فيطويها ثم يرسلها اليه
فى باريس مشفوعة بعتاب رقيق . وابتسم اورلاك وهو يترك
قميصه يهوى الى الارض ! . مورييس .. يا له من شخصية
رائعة .. أى صبر .. لكن .. أى حياة هذه لرجل مثله يفيض
حيوية .. يضطر هكذا الى ان يدلل موسيقييه ويحتمل منهم
نزواتهم وامزجتهم الحادة ..

واكمل اورلاك ارتداء ملابسه .. ملابس خفيفة لا يضيق بها
فى رحلته الى باريس خلال هذا الجو الحار من أغسطس .. ثم
فتح الباب الى حجرة الملابس المجاورة .. وقال

- اننى آسف يا ريمشتين وارجو ان تعذرني لآئننى مضطرا
الى ان أمر بغرفتك من أجل الهرب ! .

ولم ينتظر ردا .. عبر الغرفة ومرق منها الى ممر . وتناهت
اليه اصوات الصحفيين وهم بنهالون بأسئلتهم النارية على
سيدلمان .. وتقدم ثلاث خطوات قادتة الى باب خارجى .
- ها هو ذا ! .

وجد نفسه فجأة يواجه حشدا من الناس شرعوا يتقدمون صوبه ، فتلفت يمنة ويسرة نحسا عن سيارته بين عشرات السيارات الواقفة . واستطاع أن يلمح يد السائق تلمح له من نافذة السيارة . وأشرعت الأيدي نحوه بعض دقائق التوقيعات - الأوتوجرافات - فابتسم وهز رأسه قائلا :

- ليس الليلة .. أشكركم .. أشركم جميعا .. لكن مرة أخرى .. سنلتقى في مرات أخرى ..

وتراجع نحو سيارته وهو يكرر شكره لهم ويعددهم بأن يحضر في العام القادم ويعزف لهم مقطوعة ليرت . وانزلق أورلاك في كرسيه بالسيارة وهتف لسائق أن يسرع به الى المطار .. فرد الأخير قائلا :

- لقد قال المستر سيدلمان يا سيدى أنك حجزت في طائرة الساعة الحادية عشرة . لكن لا تقلق . سنصل في الوقت المناسب وتكون لدينا فسحة عشر دقائق أيضا .. استرح يا سيدى .. أنك في حاجة الى الراحة بعد ذلك العزف . فتطلع اليه أورلاك مدهوشا :

- هل كنت هناك .. في قاعة الموسيقى ؟
فهز السائق رأسه بالنفى .. ثم أشار الى جهاز الراديو وقال :

- لم أرك يا سيدى لكننى سمعتك .. لم يسبق أن سمعتك تعزف أحسن من هذا .

أسرعت السيارة خارجة من لندن غربا صوب المطار . وأغمض أورلاك عينيه . وتخيل السيارة الإيطالية الصغيرة ولوينز أمام عجلة القيادة تسير بها في شوارع باريس قادمة للقائه .. كان لا يكاد يصدق أن لحظة هذا اللقاء قد أوشكت أن تحين .

لقد اقتضى طلاقه من هيلجا شهرا طويلة .. كانت البرقيات الباهظة التكاليف والمشحونة بالفضب لا تكاد تنقطع بين مكتب محاميه في لندن وبين مكتب محاميه في المكسيك . ولم يكن ليصدق في ذلك الوقت أن هذه الليلة - ليلة لقائه بلوينز - وما سيعقبها

يمكن أن يتحقق . لم تكن هذه الليلة أكثر من صورة ساكنة تفتقر إلى الحياة في ذهنه . ثم فجأة دبت الحياة في الصورة وتحركت شخصوها وشرعت تتسابق نحو بعضها البعض . ولم يبق على التقائها سوى ثلاث ساعات أو أقل . .

واهتزت السيارة على سطح أكثر خشونة من الطريق الناعم . ثم توقفت فجأة . .

— لقد وصلنا يا مستر أورلاك . .

وهبط السائق مسرعا ليفتح له الباب . . فأخرج حافظته وناولها بعض الأوراق المالية وهو يشكره . . ولا سيما على إعجابه بعزفه . .

وكانت سلطات المطار في انتظاره لتسهل له إجراءات السفر . فلم يملك أن شكر سيدلمان في قرارته على عنايته بأمره . وأقلعت الطائرة — ذات المقعدين — من الأرض . ونظر عندئذ في ساعته فالفأها الحادية عشرة بالضبط . وتطلع إلى وجه قائد الطائرة بجوارده فلمح فيه معالم ثقة أدرك معها أنه سيصل أيضا في الوقت المناسب . ولم يلبث أن وجد الطائرة تتجه عبر القنال .

لعل لويز الآن تعبر السين . وأضواء الطريق تشع على شعرها الأشقر . . ستتحول إليها الأبصار وهي في سيارتها ، وسيتسابق السائقون ليكونوا بجوارها عند إشارات المرور . وحتى البوليس سيحاربونها في زحمة المرور . وعندما تصل إلى المطار ستجد هوة تنفتح بأعجوبة أمام سيارتها وهي تقترب بها لتوقفها .

— ان الضباب ينعدق أمامنا كثيفا يا مستر أورلاك .

كانت هذه أول مرة يتحدث فيها قائد الطائرة — فيما عدا بعض عبارات التحية التي ابتدره بها — ولم يكن أورلاك قد لاحظ قبل ذلك انعقاد الضباب . الذي حجب وراءه أضواء المدن الفرنسية على الساحل . . فقال :

— اظن أن الضباب يكتنف ساحل البحر فقط . ولن يكون في هذه الكثافة عندما نتوغل فوق العمران . . اليس كذلك ؟

فهز الطيار رأسه وقال :

- ان الضباب لا يقتصر على ما تراه امامك فقط يا سيدى ..
اننا سنخوض فيه . ان مطار ليبورجيه يقول ان الضباب يتقدم
ليكتنف منطقة باريس كلها . سنضطر الى ان نظير صوب ليون ،
وهنا ضرب قلب اورلاك بشدة . كان مشروعه كله وكل
ما تخيله عن ليلته هذه يوشكان على الانهيار .. فصاح :
- هذا مستحيل .. يجب ان اهبط فى ليبورجيه .
- الضباب كثيف يا سيدى .. واعتقد ان الرؤية ستندم
تماما عندما نصبح فوق المطار .

- اسمع .. لقد كنت طيارا فى خلال الحرب . واستطعت ان
اهبط بطائرتى وسط ضباب اكثف من هذا .. اذا لم تكن تريد
الهبوط فلا بأس .. استمر . ولكن اعطنى مظلة وسانزل بنفسى ،
انه لامر بالغ الحيوية ان اصل الى ليبورجيه .
كان اورلاك يتفحص بصره ملامح الطيار وهو يتحدث اليه ؟
مطمئنا الى ان هذا التحدى الذى يظهر به رجل مثله فى الخامسة
والثلاثين لا يمكن ان يلقى مقاومة فتى فى العشرين .. تردد الطيار
- ذلك الفتى - هنيهة ثم هز كتفيه وابتسم قائلا :

- ان العميل دائما على صواب يا مستر اورلاك .. سنهبط ،
واخذ الطيار بعد ذلك يتحدث بسرعة فى جهازه متصلا بالمطار
.. ومال بالطائرة وشرع يهبط بها وسط غلالة الضباب .. ثم
انتزع سماعتيه وهو يقول :

- انهم يحذروننى من الهبوط .. ولكننى الآن لا اسمع شيئا
.. كيف أعلم انهم يحذروننى وانا لا اسمعهم ؟ ! . فلنستمع الى
بعض الموسيقى بدلا من ذلك .

وأدار زر الراديو بجواره فانبعثت أنغام موسيقية مذبذبة
مشوهة ، لكنها غطت بعض الشيء على هدير محرك الطائرة . وأخذا
يهبطان .. وتلاشت الموسيقى لتفسح المجال لنشرة اخبار متقطعة ،
وكان اورلاك يلقى اليها نصف وعيه : وسيتولى مجلس الأمن الآن
بحث الاحتجاج الروسى .. اما هنا فى باريس الليلة فسيساق
المجرم المدان (فاسير) الى ...

وأغلق الطيار الراديو وانحنى على آلاته :
- استعد يا مستر أورلاك .. سنهبط هبوطا صعبا .. اتنا
ننزل الآن .. أعتقد ذلك .. يا الهى !

ورآه أورلاك عندئذ وقد تصلب فجأة .. فتطلع امامه ليجد
مدرج المطار يقترب منهما بسرعة ، كأنما يندفع للقائهما .. وغطى
وجهه بيديه فى الوقت الذى دفعه ظهر المقعد كالمطرقة ، ووجد
أورلاك نفسه كأنما انقلب رأسا على عقب ، وأهوى على رأسه
شئ بضربة اليمه . وامتدت يد مبالة لزجة الى عنقه . واكتشف
أورلاك أنها يده . وكان يسمع صرخات ألم حادة متواصلة تتناهى
اليه من بعد . وكان يعلم فى الوقت نفسه أنها صرخاته هو .

وشعر بنفسه يرتفع الى الامام ، وأحس ، وعيناه نصف
مغمضتين ، بساقيه تتحركان ، وفيما عدا ذلك لم يع غير الألم ،
وغير صوت يصيح من بعيد ..

- حريق ! ابعدوهما .. قبل أن تندلع النار ..

وأمسكت به ايدى .. بكتفيه وركبتيه ، ورفعته ، وترك
ذراعيه تسقطان الى جنبيه والم ممض بالغ يرتفع من يديه الى
كتفيه . ودهم ذهنه يقين رهيب ، ولمحت عيناه فى وهج اللهب ..
الدخان ، والطيار يرتكز متعثرا على ذراع احد رجال الاسعاف ،
ولوين تعدو اليه . وجاهد ليقوم بتجربة ، وليجعل ذهنه يلحظ
نتائجها ، أخذ يحرك يديه .. يدرب أصابعه على الحركة ، وأمضه
الألم فصرخ ينادى لوين .. لم يكن ثمة شك فى التجربة .. لقد
تحركت الاصابع بسرعة وتأكيد ، لكن فى ذهنه فقط . أما يداه
فقد أدركتا أن الاصابع لم تتحرك !

حاول جاهدا بما بقى فيه من قوة ان يحرك أصابعه .. أن
يمرنها على الحركة ، ووجد نفسه يوضع على محفة ، ثم انحنى
عليه أحدهم ومقد ذراعيه على صدره ، وجاهد ليرفع رأسه ..
وتطلع الى طرفيه المشوهين ، انه لا يكاد يتعرف عليهما ، على
أنهما جزء من جسمه ، وصرخ من جديد :

— لسويز : ..

— ستيفن .. يا حبيبى .. حمدا لله أنك على قيد الحياة !

وقبلته وسط الدم والعرق والضجيج ، وأوشك أن يغيب عن
الوعى . لكنه تذكر هيلجا — زوجته الأولى — وهى تضرب أصابع
البيانو بعصا حديدية وتصرخ قائلة :

— إذا لم يشفك هذا من كابوسك الدائم .. فسأضرب فى
المرّة القادمة يديك .. لا البيانو !

ثم تذكر خوفه .. خوفه من الحفلات .. خوفه فى كل سورة
قضب كانت تنتابها على الموسيقى .. خوفه فى كل مرة ينام فيها
خشية أن يصحو فجأة على ضربات العصا الحديدية وهى تنهال
على أصابعه فى جوف الليل !

هل هرب من هذا كله ليلقى نفس النهاية ؟ ..

— سق بأسرع ما تستطيع . لا . لا تذهب الى المستشفى .
اذهب به الى عيادة البروفسور فولشيف ..

كان هذا صوت لويز .. لويز بلا شك .. جاءه بين أمواج
الآلم-وراحة النسيان .. بين وعيه ولا وعيه .. بين وجوه هيلجا
التي كانت تتوالى عليه وهى تصرخ وتسب .. كان ثمة وجه أبيض
حقيقى تبدو فيه آثار الصدمة ..

— لسويز ..

نادى باسمها وهو يحرك عينيه .. شاهد الأضواء تنثال من
وراء النافذة .. وشعر بهزات السيارة فوق أرض الطريق .

— اصمد يا حبيبى .. كافح لتبقى صامدا ..

كان هذا صوت لويز مرة أخرى .. جاءه همسا ، قريبا من
أذنه ، فhez رأسه ، كان يشعر باختناق وجنان لا يستطيع معهما أن
يتحدث .. لكنه جاهد بكل عضلة فيه لتتطرق شفتاه بكلمتين !

— يدادى .. !

أنزلت لويز بصرها من صفحة وجهه الى ذراعيه ، وركبها
الفرع بفتة فتصلبت ، ثم مدت يديها وأمسكت به من كتفيه ..

— إواه يا ستيف .. يا الهى .. لم أكن أعلم .. يا حبيبى !

وتوقفت سيارة الاسعاف فجأة .. ودهمه الألم من جديد
ينهشه من معصميه الى كتفيه ، ووقفت لويز وتحولت الى ظل
رجل من رجال الاسعاف وسألته عن سبب التوقف .. فقال لها
انه سيحاول أن يعرف .. وجاهد أورلاك مرة أخرى ليسمع الحوار
التالى بين السائق وشخص خارج العربة :

— ألا تفهم .. ان المريض مصاب بحروق جسيمة .. ان حالته
تدعو الى العجلة ..

— آسف .. انها الأوامر .. ان طريق أراجو مغلق امام جميع
السيارات ..

— لكن لماذا ؟

— لابعاد الناس بالطبع .. ثمة حكم بالاعدام يجرى تنفيذه في
سجن سانتيه .. انه فاسير المجرم الذى كان يخنق ضحاياه ..
ان لدينا ستين رجلا يعملون معنا في هذه المهمة .. يجب ان تعود
بسيارتك وتسلك طريقا آخر ..

فسب السائق ولعن .. ثم عاد بالسيارة ليغير اتجاهها ..
وفتحت لويز الباب وصاحت :

— انتظر ايها الضابط .. يجب ان تفهم الموقف .. ان الشخص
المصاب هو ستيفن أورلاك .. لاشك انك سمعت عنه ..
كان الصوت لا يكاد يسمع :

— بالطبع يا سيدى .. لقد كنت احضر حفلاته ..

— ان يديه محترقتان حتى العظام .. يجب أن تجرى جراحة
عاجلة له والا لن يعود الى العزف !

— كان بودى يا سيدتى .. لكن ..

كانت لويز عندئذ تنحنى خارج نافذة السيارة ، وهى تتوسل :
— ألا تفهم ! يجب ان تدعنا نمر ..

ثم أمسكت هنيهة وسمع أورلاك تنهدا .. واستطردت تقول
فى نبرة باردة لم يألّفها من قبل :

— اذا كانت المشاعر الانسانية لاتقنعك .. فربما اقنعك

المنطق .. هذا الوحش فاسير على وشك الموت .. يداه لن تخنقا
احدا بعد الآن .. لكن يدى أورلاك يمكن انقاذهما !

بدأ أورلاك يقاوم غيبوبة جديدة . وألقى نظرة أخرى على
ذراعيه وشاهد الأصابع المحترقة المتورمة . وشعر بهزة السيارة
مرة أخرى . لا شك أن منطق لويز قد أشر . سيموت الوحش .
ولن تستطيع يدا الوحش بعد الآن أن . .
نبض الدم في معصميه وهو يحاول جاهدا أن يحرك يديه من
جديد . أن فيهما قوة - قوة قيدي فاسير القاتل . . حتى لو لم
يتحركا إلا بانقباض وانبساط .
- لويز ! .

أحس بشعر ذهبي يمس وجهه . . وكان ثمة منديل مبلل
بالكولونيا يمسح العرق من عينيه وجبهته .

- لا تتحرك يا حبيبي . . لقد وصلنا الآن .
خف صوت محرك السيارة فأفاق لحظة . . لكنك مألث أبغ
شعر بنفسه ينزلق في سحابات كبيرة . . ثمة موسيقى عنيفة
تصخب وتستنفد جهد عازفها . تتركه فارغا . . كفريق ملقى على
الشاطئ . . وكانت ثمة كلمات تأتي إليه وسط الأنغام الصاخبة :
سيموت فاسير . . ستحترق يداه . . ستحترق يداه !

- ٢ -

وجد ستيفن أورلاك نفسه يتطلع الى أنحاء الغرفة من وضع
قريب . كان يعتلى مائدة العمليات لكنه كان يشعر بأنه يسبح فوق
جسمه ! الجسم جسمه ، مغطى الى العنق بملاء بيضاء . ذراعا
ترقدان من فوقه تختفيان تحت قطع عريضة من الكتان الأبيض .
والى جوار طبيب التخدير الذى كان مستعدا بجهازه - وقفت
لويز تحادث رجلا ضخما يناهز الستين قد انتشر فى رأسه شعر
أبيض مهوش . كانت لويز تقول له بالحاح :

- الآن وقد فحصته . . ماذا تعتقد ؟ هل ثمة ما تستطيع أن
تقوم به ؟

- أقوم به ؟ ! ياسيدتى العزيزة . لقد اتصلوا بى تليفونيا من
المطار . لم يكن أمامى سوى نصف ساعة أستعد فيها . نصف

مناعة ليست بالوقت الطويل .. أليس كذلك ؟ .. ثم أخذ يفهم
بكلمات لم يسمعها أورلاك . كان الأخير لا يزال يشعر بأنه يسبح
فوق جسمه . كان يحس الألم ولكنه كان بعيدا كأنما لم يعد إليه .
وقطعت لويز على الطبيب غمغمته :

— اعتقد أنك تعرف وصيى الدكتور كوشران يا بروفيسور
فولشيف .

قطب فولشيف جبينه :

— نعم .. نعم .. انه رجل طيب . طبيب نفسانى جيد . انه
لا يزال يعمل فى لندن .. أليس كذلك ؟ .. لكن .. من أنت .. ومن
المريض .. انه عازف على البيانو . لقد قيل لى ذلك .. ستيفن
أورلاك .

ولحظ أورلاك من مكانه وجه لويز تبدو عليه الدهشة .

— ستيفن أورلاك ! لا شك أنك تعرف

هذا الطبيب كتفيه الضخمتين :

— انه شهير ؟ ! .. لكن .. اننى شهير أيضا ! ! ومع ذلك
لا اظن أن مستر أورلاك قد سمع باسمى .. ان كلا منا خبير فى
مجال يختلف عن مجال الآخر . والمرء لا يملك اذا اراد أن يكون
خبيرا الا أن ينغمس فى مجاله ، لايعى شيئا عن العالم الخارجى .
أنت .. أنت زوجته يا سيدتى .. ؟
— لا .. ليس بعد .

— اسمك ؟

— تايلور .. لويز تايلور . ان الدكتور كوشران يقول أنك أعظم
جراح فى العالم . وهذا هو الذى دفعنى الى احضار أورلاك اليك .
هز كتفيه مرة أخرى .

— سأفعل كل ما فى وسعى .. ومن الحق أن أقول أكثر من
ذلك .

شاهد أورلاك توتر ملامح لويز وهى تنحنى على جسمه
المسجى فوق مائدة العمليات ، ثم تستدير لتواجه فولشيف .
وتذكر اللحظة التى لمح فيها هذه النظرة من قبل .. عندما توقف

فجأة اثناء عبارة كان يتحدث بها اليها بشأن احدى المسرحيات
ليقول لها : احبك يا لويز .

حاول أن يفلق باب ذاكرته . ذاكرته لم تعد مجدية . الرجل
الذى قال هذه الكلمات هو الآن كتلة ملطخة بالدم على مائدة
العمليات - ليس ثمة مايتطلع اليه سوى الألم والفشل .
سمع لويز تترجم عندئذ خواطره :

١ - ان يدى ستيفن يا بروفيسور فولشيف حيويتان بالنسبة
اليه - تماما كما أن يدك حيويتان بالنسبة اليك . اننى اعرفه
تمام المعرفة . لو عرف انه لن يستطيع العزف بعد الآن ، فلن يريد
العيش بالمره .

- العزف بعد الآن ؟ ! يا عزيزتى المس تايلور ، ان عملى
يقتضىنى ان اعد الانسان واكيفه لعصر الفضاء . .

فتدخلت لويز وقالت بهدوء :

- لقد قال لى وصيى ذات مرة انك تستطيع أن تأتى بالمعجزات .

فضحك فولشيف ضحكة قصيرة وتساءل

- هل فعل ذلك حقا ! . . انه لقول غير علمى بالمره !

- اذن . . فليس ثمة . . ؟

تحرك فولشيف قرب مائدة العمليات وأعطى الإشارة لطبيب
التخدير . وأحس أورلاك بأنه لم يعد منفصلا عن جسده يسبح
فوقه ، بل استقر فيه تماما ، وبات يستشعر الألم والخوف من
جديد - ويرى الظل المنعكس من جسم الطبيب الضخم .

- ربما . ربما ثمة شيء . فلنقل انه عندما خلق الله أورلاك ،
' فقد صنع معجزة فى يديه . اننى افتقر الى صنع الله . . ولكننى
سأحاول أن أقوم بمعجزة اخرى .

ظل يتحدث ، لكن كلماته ضاعت . كان قناع الاثير قد غطى
وجه أورلاك واستلب منه الواقع الى مكان سحيق .

لم يعد هناك معنى للوقت ، لم تعد له أهمية . . الا عندما
بدأ من جديد يكافح ببطء وعذاب ليخرج من هاوية التخدير .
كان يبدو انه ملقى فى فراغ يدفع بنفسه صاعدا - مستخدما

قدميه وكوعيه - فوق شيء أبيض بدا له مائلا - وأخذت معاله
تتضح شيئا فشيئا . . ليجد في النهاية انه ملاءة فراش .
فتح عينيه على سعتيهما . وجد نفسه في ظل مصباح كهربائي
مفطى ، تحجبه عنه صحيفة منشورة على بعد أقدام من فراشه .
أنزل بصره فوجد ساقين ترتديان جوربا أسود . ثمة امرأة تقرا ،
تحركت الساقان فجأة وخشخت الصحيفة .

أغمض أورلاك عينيه لحظة - قد حيرته غرابة الغرفة ، وغبابة
وجود امرأة بجوارده وهو نائم . عادت اليه الذاكرة ببطء . لم
يستطع في البداية أن يتذكر سوى لحظة صعوده الى الطائرة في
المطار القائم خارج لندن . ثم أخذ يجاهد ليستعيد ما حدث
منذ تلك اللحظة . استطاع أن يضيف الأحداث دقيقة بدقيقة حتى
لحظة الارتطام . . والحريق ، وسيارة الاسعاف ، وحديث لويز
مع البروفسور فولشيف .

فتح عينيه مرة أخرى . كانت الصحيفة منشورة - صفحتها
الامامية وخطوطها العريضة في مواجهته . ثمة خط غليظ يقسم
الصحيفة من منتصفها . رأى اسمه ، بحروف مكبرة على
رأس عمود

يدا أورلاك تكفان عن العرف ا .

حسنا . هذا صحيح . تطلع الى أسفل . الى صورة يديه
تعرفان على البيانو . ثم خطر له أن يجرب لمس اطرافه . لكنه لم
يستطع . لم يكن وعيه يمتد الى أكثر من كوعيه . وفيما عدا ذلك
لا شيء . ركبه الفزع وتلاحقت أنفاسه وأخذ يبحث محموما عن
شيء يطرد عنه فكرة بقاءه بغير اطراف ' وأخذت عيناه تجولان
بيأس في أنحاء الغرفة . ثم لمحتا فجأة عنوانا عريضا في الصحيفة
المنشورة

فاسير القاتل يوفى عقوبته ا

وتحت العنوان كانت هناك صورة أكبر . صورة فاسير مكبلا
بالأغلال ومعه حارسان يحاولان كبحه وهو ينحن الى الأمام -
وجهه مملوء بالخوف والحقق ويداه مرفوعتان كأنما يهدد أحدا .

لم يستطع أورلاك أن يمتنع نفسه . وقع رأسه وكتفيه من فوق الوسادة بصعوبة ، وحقق في العنوانين بدا له أن الكلمات والصورتين قد اختلطت .

شعر بالعرق يتدفق من جبهته . . اليس ثمة شيء آخر في العالم غير الأيدي ؟ ! حرك ذراعه اليسرى بجهد عظيم ، وجذبها ببطء من تحت الفطاء ، الى أن رأى الجبيرة فيما وراء الكوع . لم يستطع أن يحركها أكثر من ذلك . لكنه استعان بقدميه لجذب الملاءة الى أسفل ، ومن ثم انكشفت يده . اذ بها كمخلب ضخمة أبيض - ملتهو كذلك الذي يبدو في الصورة . عاد يبصره مفزوعا الى الصحيفة . . الى يدي فاسير المرفوعتين . ثم صرخ !

ظلت اصدااء الصرخة تتردد داخله بعد الحقنة التي اشعرته بالارتياح ، وحتى بعد المشاورات والغفمات التي تناقلها أشخاص بدوا كالظلال عند مريض قدميه . ثمة نهار الآن . لم يعد المصباح بضياء . ثمة ضوء أسطع من ضوء المصباح - ربما يكون ضوء الشمس ، وثمة سائل يتدفق بين شفتيه - يجري في زوره مجرى الماء في أرض بلقع . وعاد ينزلق في الظلام من جديد . . ثمة طريق غاص بأجهزة البيانو ، وثمة طريق آخر معقم قد تنائرت فيه أشكال آدمية ملتوية . . كأنما أعناقها . . .

أدرك الأمر فجأة . . حاول الهرب . لم يكن من سبيل أمامه الا أن يمضي قدما . الأشكال نهضت وأخذت تحجل راقصة على أنغام بيانو . . بيانه الخاص يعزف بلمس يديه !

صحا والعرق يفرقه . كان الليل قد حل من جديد . نفس الممرضة على مقعدها الى جوار فراشه .

طلب ماء . وضعت الممرضة كتابا وابتسمت له . صبت له الماء في كوب من اناء على مائدة بجوار فراشه .

- أنت أحسن حالا يا سيدى . . اليس كذلك ؟ .

ارتشف الماء قبل أن يرد :

- أحسن . . أحسن على نحو يجعلنى مستعدا للقائهم عندما

ياتون !

- عندما .. ؟

كانت الممرضة تتطلع اليه باستغراب .

- لا بأس . لا داعى للتظاهر . اشكرك على الماء .

أغمض عينيه . وعندما استيقظ شعر بأنه فى حال طيب .
حتى أنه دهش لأنه وجد نفسه فى فراش آخر . كانت الشمس
تلقى اشعتها على الملاءة ، وعلى الحائط ، تضىء صورة بجوار الباب
على نحو جعل الماء فى جدول بها يتلأل كأنما يسرى حقيقة وواقعا .
- هالو ستيفن .

حول رأسه . وجد شفتى لويز على مسافة بوصة من شفتيه .
دار ببصره فى وجهها - لمس به نعومة خديها وطراوتهما - وعيناها
تتفحصان عينيه . مالت نحوه حتى مست شفاتها شفتيه . ثم
امتدت يداها الى وجهه تأخذانه فى راحتيها ، ثم تمران على ملامحه
بلطف . . وعبثت أطراف أصابعها فى شعره خلف رأسه . والصقت
ليخدها بخده . . فأحس لأول مرة أن ذقنه طويل !

حذرهما من ذقنه . وسمع صوتها يهمس رقيقا فى أذنه :

- ماذا يهم . . ان لك رائحة أيضا يا حبيبى . . يفوح منك
العرق ، والآلم ، والمرض . . لكنك أنت ما زلت كيانا واحدا . .
رائعا عظيما !

كانت قوية ورقيقة فى أن واحد . أعادت له قوته . فتح رثتيه
وأخذ نفسا عميقا حتى استقامت كتفاه . ذهببت حرارة أيام
الهلديان ودب فيه لأول مرة دفء الصحة المتزايد . . قبل طرفه
أذنها . . ثم شرع يمس بشفتيه شعرها الناعم الرقيق .
- ستيفن !

- نعم يالوين . . يالوين الناعمة ، الدافئة ، الفياحة الشدا !
- أسرع واستعد صحتك . . اننى أعرف أن هذا هو مايقوله
الناس عادة . . وانه لايعنى شيئا . لكن الأمر هنا يختلف . اننى
أطلب ذلك . . لأسباب شخصية . . اسباب انانية !

سحب شفتيه ومال الى الخلف يتطلع اليها . كانت تضحك
لكن فى صمت . ضحك الارتياح - الذى يخلخل ويكتسح كل

التوتر والارهاق . الآن فقط يعرف معنى الظلال السوداء التي
كانت سمة لياليه - ليالى السهد وغيوبة الوعي . قبلها واشتعلت
فى قلبه الرغبة . لمس لسانه صف اسنانها . وعبثت أصابعها فى
مؤخرة عنقه . ثم سحبت لويز شفيتها فجأة :
- أن يدك لم تفقدا قوتها باستيفن . هل تسمح بتخفيف
هذا التطويق قليلا . أن الجبيرة توشك أن تحفر ظهري !

- ٣ -

لم يستطع - وهو يجلس الى البيانو - أن يبعد عن مخيلته
ذكرى هيلجا - رغم أنه كان الآن فى مسكن لويز ، وهيلجا على
بعد ألفى ميل - أو ربما خمسة أو عشرة آلاف ميل ، فى أحضان
رجلها الهولندى ، أو حتى من خلفه بين ذراعيها ! بل أن هذا قد
يكون خليفة خليفته . فالحياة تتحرك بسرعة بالنسبة لهيلجا .
كانت يداه الموضوعتان على أصابع البيانو هما اللتان أعادتاه
اليه الذكرى . حتى عندما كان يخلع قفازيه بحذر ، فتظهر ندوبه ،
كان ثمة ألم خفيف يحسه . . يشبه الألم الذى كان يخشاه وذلك
التهديد المخيف من هيلجا وصلت عليه .

رفع يديه يتفحصهما . لم يكن للندوب شكل معين . لكنها لم
تكن تتداخل فى حرية الحركة . بسط يديه وحاول أن يمرن أصابعه
على الحركة واحدا واحدا . تحركت على مضض ، لكنها كانت ترفض
أن يستقل كل منها بحركته عن الآخر . الصقها ببعضها وحاول أن
يحركها زوجين زوجين . . ثم توقف وقلب يديه وقد قطب جبينه
يتفحص صفحتيهما .

سمع الباب الخارجى يفتح ، فنهض من مكانه . وداخله شعور
لا يدري سببه ولا مبعثه بالذنب . فعبير الغرفة مسرعا والتقط مجلة
- فى نفس الوقت الذى دخلت فيه لويز . وضعت حزمة من اللفائف
ثم قبلته .

- آسفة يا حبيبى . . لقد تعطلت فى زحمة المرور .
وجدت وراك نفسك يحاول أن يقف بينها وبين البيانو .

— هل كنت تتمرّن على العزف ؟

— كلا

قال ذلك وهو يتحول عنها ، فاستطردت :

— لقد كنت آمل ..

— كنت سأتمرّن .. لكننى لسبب مالم استطع

وأخذ يتطلع الى يديه ، وهو يمضى قائلا :

— كنت سأتمرّن .. لكننى لم استطع عندما حان الوقت .

السبب يدائى . أحسّ أنهما لا ينتميان الى ..

وجلس . بينما ركعت على ركبتيهما بجوار مقعده وأخذت يديه

فى راحتيهما :

— لقد قال البروفسور فولشيف أن المسألة ستستغرق وقتا

— نعم .. نعم .. أعرف ذلك

— ماذا بك يا حبيبى ؟

تجنب أورلاك نظرتها وهو يقول مسرعا : لاشيء . كان يشعر

بأنهما على حافة أزمة يحاول تأجيلها . هز رأسه وجاهد ليبتسم :

— لا شيء .

— اننى لا أبغى الا مساعدتك .. أنت تعلم ذلك ؟

صاح وهو على وشك الغضب :

— قلت لك لا شيء .. لا شيء بالمرّة .

طفى الألم على وجه لويز . وتمنى أن يخفف عنها ، لكنه لم

يستطع . وقفت وسارت الى النافذة . وأخذت تحقّق الى الطريق .

— ستيفن ..

— نعم ..

— أعلم أنك مررت بتجربة قاسية . لكن يجب أن تحاول

فسيانها . لقد انتهت . وأنت الآن على مايرام

— هل انا كذلك حقا ؟

لم يعد ثمة سبيل لتجنب الأزمة . أصبحت أمامهما مباشرة .

وكانهما يستبقان اليها فى سيارة أفلت زمامها .

— لقد كانت الجراحة ناجحة .. البروفسور فولشيف قال

ذلك بنفسه .

أمسكت هنيهة ثم استطردت وفي ثبراتها يلوح التوتر !
- لابد أن تبدأ حياتك مرة أخرى ، إن عاجلاً أو آجلاً ، من حيث
تخلفتها .

- ماذا تعنين ؟

أحمر وجهها .

- أصغ الى يا ستيفن . منذ ستة أشهر كان من المقرر أن
تتزوج . كنا . . كنت أنا . . في لهفة على الزواج . ثم حدث ذلك
الشيء الفظيع . ربما غيرك ذلك . لكننى عندما جئت لمقابلتك أول
مرة ، لم يبد أن الحادث قد غير منك شيئاً . ثم . . منذ ذلك . .
لقد تغير كل شيء ! اننى لم أتغير يا ستيفن . . ولكننى بشر !

ثم توقفت مرة أخرى وتحولت بوجهها اليه - ولمعت الدموع
في عيناها وأردفت :

- اننى بشر ضعيف ! كان لى رجل يشتهينى . كان هذا هو
ما أريد . . انه أمر بسيط . . اليس كذلك ؟ لقد رويت لك حياتى
من قبل . لم يكن ثمة أحد فى حياتى . . وعندما تقابلنا تغير كل
شيء . . أردت أن أنال كل ما حرمت منه . أردت حيل ، وأردت أن
. . تشتهينى . لم يكن عليك فى هذه الاشهر الستة سوى أن تطلب
- بنظرات لا حتى بكلمات - كنا يتزوج فوراً - لم تكن لنتظر . .
لكنك تغيرت .

- هل تعتقدين ذلك ؟

حاول أورلاك أن يتحدث بسرعة ليغير الحديث الى موضوع
أسلم من هذا . لكن لويز لم تتح له الفرصة . نظرت بدورها من
النافذة وشرعت تتحدث بسرعة :

- لا أدري . كل ما أريد قوله هو اننى لم أتغير . لكن اذا كنت
أنت تغيرت ، فعليك أن تخبرنى بذلك . انك لاتزال حراً ، لن أحاول
منعك ، أو الشجار معك ، أو أى شيء من هذا . . اننى أعدك بذلك !

كان يستطيع أن يلمح وجهها من حيث جلس ، والألم الذى
تحاول أن تخفيه . وما لبث أن نهض وعبّر الغرفة وقبض على
ذراعيها بشدة وجذبها اليه . شعر بجسمها يهتز وهى تحاول
السيطرة على أدمعها . وهمس اليها .

- يجب الا تفكرى فى ذلك يا حبيبتى . يجب ان تفهمى . ان
ثمة شيئاً فى لم يتغير - هو حبى لك . هذا الشيء لن يتغير . اننا
سننزوج قريباً . قريباً جداً .

تملكته الرغبة التى حاول مقاومتها ستة اشهر . وحولت اليه
وجهها ولمعت عيناها بالغبطة والارتياح . وتمتم :
- قريباً جداً . . جداً

وخلصت لويى نفسها بلطف من بين ذراعيه . . كانت السعادة
تبرقص فى عينيها . مسحت الدموع عن خديها وحكت ذراعيها حينئذ
كان قد وضع قبضتيه وقالت :

- لم اكن اعلم انك بهذه القوة يا ستيفن ستظل هناك علامة
ورقاء مكان قبضتك لمدة شهر ! .

ذهل أورلاك . وتطلع اليها بعينين مفتوحتين :
- هل أملك ؟

- لقد كان الأمر يستحق ! . . لقد استمعت حقاً ؟

لكن كانت هناك نبرة خبت فى صوتها . . تلك النبرة التى كانت
تلوح فيه مرارة وتؤدى الى اثارته . لم يستطع ان يتخلص من
ضيق داخله . فأشرع يديه أمامه وحقق فيهما . وغمغم :

- كذلك هما . . لقد استمتعا بدورهما !

- لا تتمم هكذا يا حبيبى . اننى لا اسمعك . ماذا تقول ؟
لم يلتفت أورلاك اليها . مضى يحدق فى يديه . . حتى أدرك ان
لويى تحديق فيه بدورها متلهفة .

- ألسنت على مايرام يا ستيفن ؟

حاول ان يرد لكن الكلمات لم تطاوعه .

- ستيفن !

تحركت صوبه . جاهد ليحرك لسانه :

- آسف يا حبيبتى . انه مجرد صداد .

- يامسكين . . يا أعز مخلوق لدى . استلق فترة ودعنى . .

لم تتم عبارتها . أمسكت يده . وقف أورلاك وهو بشعر
بدوار . ثم سحب أصابعه عندما لمستها أصابعها . ودلى ذراعيه
الى جنيبه . وغمغم

- أظن أنه يجب أن أعود إلى البيت . . إذا سمحت .
- بالطبع . . لك ماتشاء .

كان وجهها تبدو عليه الحيرة والقلق . . لكنه لم يستطع أن يفعل شيئاً ليخفف عنها . ماذا يمكن أن يقول . أنه نفسه لا يعرف الجواب .
- أشكرك .

- تعال اذن . ان السيارة في الخارج . سأعود بك .
- لاتسيئي فهمي يا حبيبتي . . لكنني أود أن أسير على قدمي .
- حسنا اذن .

سبقتة إلى الباب . أحنى رأسه وتبعها . داعبت ذقنه وقبلت طرف أنفه وقالت :

- لايمكن أن ادعى أنني أفهم شيئاً يا ستيفن . لكن مهما كان الأمر - مهما كانت متاعبك . . دعني أكافحها معك
ثم اردفت وهي تفلق الباب وراءه :
- سأمر عليك فيما بعد لاطمن .

انطلق أورلاك بسرعة . قد كور قبضتيه في جيبه . لم يلدن أين تقوده قدماه . . فيما عدا مرة واحدة ، اطلقت السيارات فيها أبواقها المحمومة فقفز فزعا إلى بر الأمان - إذ كان يعبر طريقاً مزدحماً . . عبر النهر واتخذ طريقه بين جموع أحاطت بأسوار الكتب - دون أن يشعر بوجودها . وتوقف برهة وتناول شراباً ثم مضى . . بعيداً عن الشوارع العريضة والأبنية الطويلة ، إلى الشوارع الجانبية والأسواق . ولم يلتفت أخيراً إلا لموسيقى تصدر من أرغن . وجد قدميه تسيران على وقع الأنغام - تقودانه إلى مصدرها .

رأى أطفالاً يلهون على أحصنة خشبية دوارة . . وثمة سيارات صغيرة تكاد تصطدم ببعضها البعض . . وأمكنه لأمكان التصويب بالبندق ، والاقواس . وحجرة لقراءة المستقبل ابتسم لمرآها بمرارة .

ثم توقف .

وجد أمامه لافتة تقول : اختبار قوتك . وبجوارها وقف حشد

بصغير يحيطون بآلة ذات قبضتين وقرص عليه أرقام من صقر الى مائة . وكان ثمة رجل يصيح في الجمهور ، قد عرى صدره الى خصره ليبرز عضلات ذراعيه وكتفيه ، وهو يعلو بصوته داعيا الناس الى اختيار قوتهم . من يتعدى الخمسين على القرص - يفوز بجائزة . وكان الرجل يهتف بالناس مستحثا اياهم ان يظهروا للسيدات معدنهم !

حرك أورلاك رموشه كأنما يصحو من غيبوبة . لم يدر كيف رجع الى هذا المكان .

- أنت .. أنت يامن هناك .. أنت يا من ترتدى قفازات سوداء .. تعال . أظهر لهم قوتك . لاتكن خجولا . تعال جرب ! سار أورلاك صوبه بطريقة آلية . وضع بعض العملات الصغيرة في يد الرجل . ثم أمسك بإصبعه المقبضين وشرع يشدد قبضتيه . وتطلع الى ابرة المؤشر ، المثبتة في القرص . وجدها تنتقل الى عشرين ، ثم الى ثلاثين وأربعين وعندما وصلت الى خمسين سطع ضوء فوقها . وعند ستين سطع ضوء آخر وسمع أورلاك صياح الاعجاب من الجمهور خلفه .

- أحسنت يا سيد .. والان . اى جائزة تريد ؟

لم يكن أورلاك يسمعه .. كان لا يزال يشدد قبضته . ويرى الضوء يسطع عند سبعين وثمانين وتسعين .

وفجأة ، ولدهشة الجمهور ، وصلت الابرة الى مائة وانبعث صوت جرس كهربائي جعل مزيدا من الناس يهرولون الى المكان .

- حسنا أيها السوبرمان . دع الآلة .. هل تريد أن تحطمها ؟ كان الرجل يمسك معصميه ، يحاول أن يخفف قبضتيه . لكن أورلاك استمر مشددا .. ترك الابرة عند المائة والجرس يدق لمدة نصف دقيقة ، قبل أن يرخي يديه .

وصاح احدهم :

- هلم .. أعطه جائزته .. جائزة جميلة !

تطلع الرجل الى أورلاك

- ماذا تريد .. هل تريد افلاس ؟ ! .. حسنا . خذ ماتشاء .

التقط شيئا من هذا

وأشار له على الجوائز الكبرى
لكن أولارك هز رأسه وبدأ يتحول مبتعدا . ففاجأه نفس
الصوت السابق يصيح
- هلم يا سيد .. خذ شيئا . لاتدع له الجائزة . لقد كسبتها
بطريقة عادلة .
التقط له الرجل عروسة كبيرة ودفعها بين ذراعيه . فقال
أولارك .

- اننى .. اننى لا أريدها .
لكن الرجل أخذ يتطلع الى الجمهور بقلق .
- الأفضل أن تأخذها .. ان الجمهور يبدو اليوم شديدا
متحفزا .

ثم توسل اليه :
- اذا لم تأخذها .. فان هذا الرجل .. هذا الذى يصيح «
سينخلق لى المتاعب .. وربما يأتى بجمهور يحطم بضاعتى »

هز أولارك كتفيه

- أشكرك ياسيد .

تحول الرجل وهو يحرك عضلات ذراعيه الى الجمهور .

- ها هو ذا .. لقد كسب عروسة جميلة لصديقتة . أفضل
ماعندى . كلفتنى ثروة . والآن تعالوا .. من سيكون الفائز الثانى
بجائزة جميلة .. اننى أبعثر هذه الجوائز .. أوزعها .. لفرط
خيبتى !

تحرك أولارك بعيدا وهو يقبض بشدة على عروسته . افسح له
الجمهور ليمر عاد الى الطريق لكنه شعر بنظرات غريبه تتطلع بها
نساء الملاهى اليه . فأشار الى تاكسى وانزلق فى مقعده . نظر فى
ساعته فألفى أنه مرت ساعتان منذ بارح مسكن لويز . ساعتان لم
يفعل فيها عقلة شيئا الا العمليات الآلية التى يحتاج اليها للسير
عبر باريس . كان يشعر كأن جدارا قد قام بداخله . يحول بينه
وبين ذلك الجانب اليقظ النشيط من عقله . وضع يديه على عينيه ..
لابد أن يكون هناك مفتاح يفتح هذا الحاجز .. كلمة أو عبارة . شيء
يرى أو يلمس أو يذاق أو يشم .

سمع السائق ينادية . فأنزل يديه عن عيشية . كان السائق قد تحول إليه ومد له يده مطالبا بالنقود . وكانت السيارة واقفة .

نزل متعبا . وعيّن في حافظته ليخرج النقود . ثم صعد الدرج الى باب مسكنه الأمامي .

وفي الداخل ، ألقى بالعروسة فوق مكتب وخلع سترته ودخل بها حجرة النوم . وارتدى (روبا) كانت الحجرات تبدو وكأنها انكمشت . وكان يشعر بحاجة الى رفع الجدران الى الوراء . كأنما يعاني من حصار الأماكن المفلقة ، في مصعد وقف بين الأدوار .

لاحظ أن يديه تهتزان وهو يصب لنفسه قدحا من الويسكى . ووقف عند رف المدفأة ينظر عبر الغرفة الى (بيانه) القديم . وتذكر الأكاذيب التي ساقها للوزير - أنه ينفق ساعتين كل يوم في التمرين ، ليعود الى يديه سابق قدرتهما .

عبر الغرفة ، واستخدم منديله في نفخ الفبار عن غطاء البيانو . وجرع الويسكى ثم جلس ورفع الغطاء . وتدفق العرق فجأة من أكل مسامه . كل عضلة فيه حاولت أن تتراجع . لكنه أرغم يديه على مس أصابع البيانو فانبعث نغم مختلط . ومر بأصابعه يعزف لحنا عسيرا كان قد اعتاد منذ أعوام أن يتمرس به استعدادا لكل حفل . لكن النغم كان نشازا فتوقف وقطب جبينه وهو يتطلع الى يده اليمنى . .

قام من مكانه فجأة وصفق الغطاء على البيانو . وهرب في مشيه عدوا الى حجرة نومه ففتح دولابا وجذب درجا مليئا بالقفازات . التقط زوجا ودس يديه فيهما . كانا ضيقين فاضطر الى أن يدفع بكل أصبح في مكانه منهما . لكن . . لا بأس . هذا شيء متوقع . فقد حذر مدلكه . . الذي كان يزوره يوميا خلال أشهر النقاهة من أن يديه قد تستغرقان وقتا طويلا قبل أن تعودا الى سابق عهدهما .

خلع القفازين وعاد الى الصالون . فوق رف المدفأة كان ثمة لوحة تمثل بعض زوارق الصين الأسبانية . نحاها عن الجدار وفتح خزانة خلفها . . وعيّن يده في كومة من الأوراق سندات وبوالص

تأمين ووثائق قانونية . الخ . . ثم التقط من آخر الخزانة صندوقا من صناديق الحلى الخشبية القديمة . وعبث فيه بدوره وأخرج إختاما . .

جلس والخاتم فى يده اليمنى . ثم رفع يده اليسرى ودس الخاتم فى أصبعها الوسطى . دخل الخاتم من طرف أصبعه . عبر الظفر ولكنه انخسر عند العظمة فى منتصف الاصبع ! .

انتزعه أورلاك وقذفه بعيدا . كان الآن يرتعد كمن انتابته حمى . أخذ ينظر بهلع من صندوق الحلى الى الخزانة ، ومن الخزانة الى صندوق الحلى ، ثم الى المكتب . ووقف ساكتا فى مواجهة المكتب وأخذ يحاول السيطرة على نفسه وعلى ارتعاش جسده . ثم جلس من جديد . وأخرج ورقة وقلم ووقع باسمه . كان نفس توقيعه الذى خطه على عشرات من الشيكات فى خلال الأشهر القليلة الماضية .

لم يكن حتى الآن قد توقف ليفحص توقيعه بالتفصيل . كان يعتقد أن عمل المدلك كفىل بأن يعيده الى طبيعته . لكنه الآن التقط بوليصة تأمين من الأرض وهو مقطب الجبين . وفتحها ووضع التوقيعين أحدهما بجوار الآخر .

كانت زجاجة الويسكى على بعد قدم واحدة منه . وصب لنفسه شيئا منها ، وجرعه على الفور . . كانت يداه ترتعدان من جديد . وضع الكأس والتقط سماعة التليفون ، بينما نزع بيده الأخرى يقلب صفحات الدليل . ثم أدار القرص . وكانت ادارته غير محكمة . فاضطر الى أن يفعل ذلك مرتين .

- هالو . . هل هذه عيادة البروفسور فولشيف . . هل يمكن أن أتحدث اليه ؟

- آسفه . . لكن هذا متعذر . .

- لكن الأمر مهم . . من يتحدث ؟

- أنا مساعدته . .

كان الصوت منخفضا جدا ، فلم يتبين أورلاك الا الآن أن محدثه سيده .

- . . أن البروفسور فولشيف ليس هنا . أنه فى موسكو يشهد مؤتمرا بالغ الأهمية بشأن الأبحاث الطبية للسفر فى الفضاء .

شعر أورلاك بالعرق يفرّوه من جديد .

— أوه .. يا الهى .. ومتى يعود ؟

— لن يعود قبل بضعة أسابيع . من المتحدث ؟

— أنا ستيفن أورلاك .

— آه .. بالطبع يا مسيو أورلاك .. اننى اسفّة إذ خيبت أملك

.. لكن البروفسور الآن مشغول جدا كما تعلم . انهم يجرون في

روسيا أبحاثا على مقاومة الجسم للحرارة المتطرفة ، وذلك لصناعة

كبسولة فضاء جديدة تصلح للآدميين . لاشك أنك قرأت عنها في

الصحف . والبروفسور فولشيف يلزم وجوده هناك لهذا الغرض .

لكننى أؤكد لك .. انه سيعود قريبا .. وانت ...

— أنا ؟

— أنت مسرور ولا شك بيديك الجديدتين ! لا بد أنك كذلك . ان

حالتك كانت من أعظم انتصارات البروفسور فولشيف . أنا

شخصيا ساكون في انتظار الاعلانات عن حفلتك القادمة .. هالو ..

هالو .. هل تسمعنى يامسيو أورلاك ..

كان أورلاك يمسك بالسמاعة عندئذ بعيدا عن أذنه . ثم وضعها

في مكانها . وجلس يحرق فيها برهة .. وبجوارها على المكتب كانت

العروسة تبتسم له .

وفجأة — ولفزع أورلاك .. لمح يديه تمتدان الى العروسة

وتقبضان عليها .. واذا بأطراف أصابعه تضغطان على الجسد ..

حتى تناثرت بعض قطع منه على الأرض .. وأخذت أيديان بيضاء

تلويان العروسة .. حتى انفصل رأسها عن جسدها !

— ٤ —

دق جرس الباب فجأة ، فهب مفزوعا على قدميه . وبصره

يشتغل بسرعة من النافذة الى الباب ، كمجرم وقع في الفخ .

دق الجرس مرة أخرى . فنظر بفزع واشمئزاز الى العروسة

التي تقطعت أطرافها . ثم جمع أطرافها ورأسها بسرعة وألقى بها

في سلة المهملات . وتدفق من جسم العروسة سيل من نشارة

الخشب ، فألقى في السلة مابقى من العروسة أيضا وحاول ان

يدفع بقدمه النشارة تحت المكتب . ولما يتس من ذلك تناول سجادة
صغيرة من وسط الغرفة وغطاها . ثم مسح يديه في جانبي الروب
- دون وعى - كأنما يمسح عنهما آثار دماء .

ومد يده الى مقبض الباب ، وفي رأسه دوار ،
- ستيفن !

- لويز !

انفجر الاسم من شفثيه . ومال على زجاج الباب مستنذا ،
وهتف :

- بريك ساعدينى يالويز . . ساعدينى . .

وشعر بروكثيه تتخلخلان من تحته . ثم شعر بذراعى لويز
حول كتفيه - تقودانه الى مقعد . . كان صوتها يبلغه أول الأمن
ضعيفا ، ثم اتضح وباتت معالمه - فنفخ فيه شيئا من قوة وإرادة . .

- اجل يا حبيبى . . هذا ماجئت من اجله . انا هنا لأساعدك ،
نجئت لأساعدك . . انك تعرف وصيى - عمى فرانسس - انه يقول
ان فى مقدورتنا ان نستخدم فيلته لاي وقت نشاء . .
واجلسته فى مقعده واستطردت :

- انك ستأتى - اليس كذلك ؟

تخيل أورلاك منظر الريف ، والزهور ، وضوء الشمس يسقط ،
لكن ذهنه كان يفكر أكثر فى الهرب من هذا الشيء الرابض فى سلة
المهمات - الذى بدا كبيرا حتى انه ظن من المستحيل ان يخطئه
يصر لويز .

- نعم . . نعم . ستأتى . .

- الشمس هناك وافرة . . الاكل كثير . . والعمل . . لاشيء .
وهذا هو ماتحتاجه بالضبط . .

كان رأسه فى صدرها الدافئ عندما أردفت

- . . الى جانبي . . بالطبع .

دس رأسه أكثر فى صدرها وغمغم وشداها فى أنفه .

- أنت على الأخص !

ضحكت لويز . .

- هذا افضل . . لايزال هناك أمل امامك . . وامامى !

ثم استطردت بسرعة
— هلم .. انهض على قدميك .. أرني الآن ماذا ستأخذ معك ..
رجذب نفسه الى أعلى .. نهض وعبث بأصابعه في شعره
— اعتقد اننى الآن على مايرام .
ثم حلق في عينيها وأردف :

— لست أدري كيف يحدث هذا . كل شيء يبدو على مايرام !
ثم فجأة .. لويز .. أريد أن أصارحك القول ..
إذا تخليت عنى .. فأننى سأدرك موقفك .. انك صغيرة ..
ولو كنت ثريا فان فرق عشر سنين بين عمرينا لن يهم . لكن
الوضع الآن ..
نهرته عن الكلام ولعت عيناها .

— كفى يا ستيفن .. يا أعز مخلوق لدى .. تعال لتساعدنى
فى حزم حقائبك .. لا تتصور أن فى مقدورك التخلص منى بهذه
السهولة . لماذا تظن اننى تجشمت مشقة استعارة هذه الفيللا من
عمى .. اليس من أجل أن يختلى أحدنا بالآخر .. اليس من أجل
أن نتزوج ؟ !

تطلع أورلاك اليها . وشعر بأن حبه لها يكتسح أمامه ساعات
الفرع التى عاشها أخيرا ..
— والآن أرني الأشياء التى ستخدمها .. ثم اذهب واستعنى
للرحيل .

.. دخل أورلاك الحمام ، وبعد ربع ساعة ، فتح الباب . فتطلع
مدهوشا .
— ستيفن !

لم يكن يرى أحدا .. كانت لويز فى الخارج لكن صوتها كان
رقيقا دافئا ..

— ماذا يا حبيبتى .. هل هناك شيء لاتجدينه ؟

— لا .. ليس الأمر كذلك . لقد انتهيت من حزم حقائبك ..
أريد فقط أن أتحدث اليك
— اذن .. تعالى !

— هل تسمح ؟ .. أعدك بأننى لن ..
فتحت الباب عندئذ أكثر قليلا .. لكن صوتها كان ينم عن
الخجل .. فخف لمساعدتها بقوله :

— لا بأس اذا كنت ستدخلين أن تدعى لى ظهري !

كان غائضا فى البانيو الممتلئ بالماء والصابون . فأخذت الفرشاة
وشرعت تمر بها على ظهره ، بينما كانت قد سكنت تماما واحمر
وجهها خجلا . وزاد ذلك من حبه لها .

— فيم كنت تريدین الحديث ؟

— لا .. لا شيء بوجه خاص .

ثم حولت وجهها ودفعت خصلة الشعر التى كانت قد سقطت
على جبهتها .

— اردت فقط أن اطمئنك الى المكان الذى سندهب اليه ..
أن فيه حجرات ارضية مريحة .. وحديقة ذات اعراش عالية .

.. مضت بهما السيارة جنوب باريس . كانت لويز تتولى
القيادة . وكان هو يجلس محاولا أن يسترخى وسط اللفائف
الكثيرة . طلبت منه أن يشعل لها سيجارة . ففعل . ودسها بين
شفتيها ثم اشعل لنفسه واحدة .

أخذ يترنم بنغم — ثم أخذ ينادلان الترنم .. الى ان صاح
بها فجأة :

— حذار .. سيموت كلانا .. لو لم تكونى حذرة !

قال ذلك وأمسك عجلة القيادة وأعاد السيارة الى الطريق
الطبيعى بعد ان كانت منحرفة نحو حافة العشب . وتساءل يحفف
من وقع عبارته .

— ما هذا اللحن الذى كنا نترنم به

— شتراوس .. انت أعلم بذلك منى

— ثمة شيء لا يروقنى فى موسيقى الفالس يا لويز

— لا تحبها ؟

— اننى احقرها ..

كان وقع انعاء الفالس بذكره بهيلجا .. وفكرتها القوية القائلة
بأن الرواج من عازف بيانو معناه . . . فص مع صفوة المجتمع فى قاعات

قينا ، وتناول الشمبانيا مع الكونتيسات - وتبادل الانخاب مع الدوقات . لكن هذا الزواج كان يعنى فى الواقع اسفارا لا نهاية لها . . فى قطر سيئة التدفئة ، ووجبات معجلة ، وشراب قليل ، ورحلات طول الليل بالسيارة الى بقاع نائية .

كان هذا الزواج يعنى أيضا قدرة على تحمل مهنة لا تعرف الكلل لحظة واحدة ، مهنة تتطلب انفاق الكثير ، من الوقت ، والجهد ، والصبر .

- .. اننى افكر فى الماضى . لكننى لن افكر فيه كثيرا بعد اليوم

- لا تزال ذكراه تؤلمك ؟

- بعض الشيء . المرأة لم تعد تهمنى . ربما كل مابقى مجرد كبرياء مجروحة ، وأسف على سنين مضيعة . كذلك ثمة شيء لا يستطيع المرء ان يفعله .
- وما ذاك ؟

- المقارنة .. هذا .. هذا كله ضوء الشمس . اما ماسبق ؟ ذلك ، فكان الرعد !

شعر بيدها تمس يده على المقعد .
- حذار .. السائق الذى يقود بيد واحدة قصر الحياة ! .. هات عنك .. انه دورى . لقد اتفقنا على تبادل القيادة كل مائة كيلو متر .

كسبت وجهها سحابة من الهم

- هل تريد ذلك حقا ؟ لا تظن انك مضطر الى ذلك ، اذا لم تشعر ان فى استطاعتك ..

تبسم لها . وجذب انفاسا من الهواء الدافئ فى ربتيه . لم يعد أورلاك الذى كان يرتعد ويتفصد عرقا . صار الآن مختلفا . يسرى الدم فى عروقه نابضا بالغبطة .. لان لويز بجواره يسافر بعيدا عن كل ماعرفه من اماكن - الى حياة اخرى فى مكان جديد .. لا تكنته اشباح .

- أوقفى السيارة يا حبيبتي .

اطاعته وأوقفتها الى جانب الطريق . ونزل ودار حول السيارة .
وقبل ان يفتح الباب قبلها على قمة جيئنها ثم هتف :
- هالو !

- هالو ..
- هل تذهبين فى اتجاه الجنوب يا آنسة .. اننى - اننى أود
أن أركب معك .. هل تسمحين بتوصيلى الى وجهتى .. أغرقت
فى الضحك ..

- لا أدرى حقا ان كان ذلك ممكنا . هل أكون فى مأمن معك ؟
لقد سمعت روايات رهيبة عن فتيات سمحن لفرباء بالركوب فى
سياراتهن !

فتح الباب وقال بصرامة .. ليتقن دوره :
- تحركى قليلا .. والزمى الصمت اذا كنت تعرفين مصلحتك
ثم فتر فجأة عن المضى فى دوره وبسنت ذراعيه خلف رأسه .
وكان ضوء الشمس على وجهه

- أوه .. هذا بديع .. باريس وراءنا و ..
- وغداء بارد غير مستساغ أمامنا اذا لم تتحرك !
انزل أورلاك ذراعيه ورفع حاجبيه :
- هكذا النساء ! انهن يناقرننى من الآن ! .. ان لنلك الايام
التى ..

وتوقف وأدار محرك السيارة ، فانبعث هديره . وخاض بها
منتصف الطريق وهو يشير الى علامة أمامه قائلا :

- مونت كارلو يا آنسة .. انها على بعد تسعة كيلو مترات
نقط .. ليلة حظ واحدة فيها تأتى بشروة !
لكنها أشارت له بيدها فلم ينحرف فى المنعطف ومضى قدما على
الكورنيش .. وفجأة وجد أمامه قافلة من الفجر تعبر الطريق ..
اطلق أورلاك بوق السيارة . وتبادل أفراد القافلة الحديث بسرعة
ثم تنحوا له عن الطريق - ومرقت السيارة على بعد بوصات منهم .
- هل سنقابل المزيد من هؤلاء على هذا الطريق ؟
هزت لويز رأسها

- كلا .. انظر . هذا هو الباب .. أمامك الى اليسار .

أوقف أورلاك السيارة . ومكث لحظة ينظر الى الفيلا . كانت منخفضة بيضاء الجدران – وثمة نباتات متسلقة مزدهرة تمتد الى السطح
– هل أعجبتك ؟

أوما برأسه .. ثم قفز خارجا ودار حول السيارة ليفتح لها الباب . وعندما خرجت وقفا معا جنبا الى جنب ، يتطلعان الى الفيلا . ثم صاحت لويز .
– أنجى !

وشاهد أورلاك رجلا طاعنا في السن يخرج اليهما من جانب الفيلا ، ويمد ذراعيه . بينما كانت لويز قد جرت نحوه والتقت يدها بيده . وتصافحا .
– مدموازيل لويز .. يسعدنى أن أراك ثانية .. وأنت فى أحسن حال .
وكيف حالك أنت ؟

– أوه .. اننى مشغول . مشغول جدا . ان الدكتور لم يخطرئى بقدومك فى الوقت المناسب . ومع ذلك فقد بدأت كل مافى وسعى . أن البيت نظيف على الأقل .
– اننى واثقة من ذلك يا أنجى . انه دائما نظيف مادام فى عهدتك .. أقدم لك مسيو أورلاك .

– السيد الذى كان مريضا ؟ لقد ابلغنى الدكتور كوشران شيئا قليلا عنه .. القليل الذى يمكن فى الواقع قوله فى برقية !
صافح يد أورلاك الممتدة وهزها وأردف قائلا :
– ان المرء يستطيع أن يستدل من ملامحك يا سيدى على أنك عانيت الكثير .

تبسم له أورلاك وقال :
– لكننى أشعر أننى احسن حالا اليوم – لابد انه هذا الهواء !
وتطلع عبر الفيلا الى الحديقة وأردف .
– هذا يشبه الجنة يا أنجى !
فقبع العجوز ، ورفع اولى الحقائق .

- أوه .. ان الجو على ما يرام اليوم .. لكنه تخداء - انتظر حتى تهب ريح الشمال .

غمزت لويز لأورلاك . فتناول يدها الممدودة وسار بجوارها الى البيت - وفي أعقابهما انجى يحمل حقيبتين وهو يغمغم متأففا . كان الباب الأمامى مفتوحا . وشاهد أورلاك قاعة بيضاء الجدران كانت رطبة رغم حرارة الجو في الخارج .. وكان الديكور مفريا وثمة سجاجيد زاهية الألوان على الأرض . وقبو في طرف القاعة يقود الى فناء ازدهرت فيه النباتات حول بئر . قادته لويز الى حجرة واسعة ، لها نوافذ كثيرة تؤدي الى شرفة وورقة البحر تمتد الى مرمى البصر وكان ثمة بيانو ضخيم قرب النوافذ ..

- انه يعمل يا سيدى ..

كان ذلك صوت انجى فاجاه من جواره .

- لقد جاء رجل خصيصا من مونت كارلو ليصلحه .

مر أورلاك باصابعه على اصابع البيانو . فهتف انجى :

- نعم ياسيدى كان .. مثل هذا .. بل اسوأ من هذا !

فقالت لويز بسرعة لتغير مجرى الحديث ..

- تعال من هنا لأريك غرف النوم

وتقدم انجى عبر الفرفة وفتح بابا من ثلاثة أبواب وافسح لهما

الطريق ليمرأ ، وقال :

- لقد أمر الدكتور بأن نعد غرفة نومه الخاصة لمسيو اورلاك

فتح أورلاك فمه مدهوشا وهو يدخل الفرفة . كان دائما يشعر

بان حجرات النوم غريبة . وكان يكره هذه الفرابة - فيما عدا فرابة

حجراته - الا ان هذه الفرفة التى دخلها الآن لم يشعر أبدا بان ثمة

شيئا غريبا فيها . كانت غرفة رجل .. ليس فى أثائها شيء من رقة

وان كانت بعض قطعه مختارة بعناية .. لكنها كانت بالطبع غرفة

الدكتور كوشران .

وضع انجى حقيبتيه وقال :

- اما غرفة الأنسة فهى غرفتها القديمة المواجهة لهذه .. ثم

استأذن فى الذهاب لاحضار بقية المتاع .

سار أورلاك الى النافذة ونظر منها الى الحديقة .
- هل أعجبتك يا حبيبى ؟
كانت لويز قد أنسلت الى جواره دون ان يلحظها . فمس
ذراعها :

- ارى انك انت وعمك قد صرتما تدللانى . .
- لا أنكر ان هذه هى الفكرة العامة !
- اننى لا أستحق كل هذا . .
- لا أعتقد ذلك .
لمسها فاستدارت نحوه . فأخذها بين ذراعيه وقبلها قبلة شعر
معها بالرضا والاطمئنان .

كان فى موقف يتخيل معه انه سيشعر بذلك الفرع الرهيب
الذى دهمه فجأة . . عندما تطلع الى الجدار من فوق كتف لويز .
كانت هناك صورة محفورة فى برواز تمثل لويس السادس عشر -
المقصلة من ورائه تحيط بها سحب مدلهمة دكناء .

- ماذا حدث يا حبيبى ؟
كانت لويز قد فتحت عينيها وأخذت تنظر بقلق .
انزل أورلاك ذراعيه الى جنبه :
- لا شيء . . لا شيء على الاطلاق يا حبيبتى . . فانذهب قليلا
الى الشرفة قبل ان يحل الظلام
- أجل . . بالطبع .
كان صوتها لا يزال فيه الشك والتوجس .

وكانت الشمس قد اختفت خلف غلالات من السحب شفت
بالضوء . وفى الأفق لاحت أضواء مونت كارلو . كان المنظر رائعا
أذهل أورلاك . وكان الصمت مطبقا فاستندت لويز على ذراعه
واراحت رأسها على كتفه .

وهمس - كأنه يخشى وقع صوته على السكون من حوله
- لم يسبق أن لمست مثل هذا الهدوء . كأننى فوق سحابة
لا يستطيع أن يصل اليها شيء . . أشكرك يا لويز على احضارى الى
هذا المكان .

قال ذلك ووضع ذراعه حول خصرها . .

- مدموازيل لويز !
 رفعت رأسها وتحركت شبرا بعيدا . بينما كان انجى يتقدم
 وهو يحمل قطعة فارسية كبيرة زرقاء .
 - نعم يا انجى ..
 - ثمة من جاء لتحييتك ..
 - ميشو ! .
 صاحت لويز باسم القط .. فقفز على يديها الممدودتين ؟
 وجعل يلحق يدها ..
 - ميشو .. هل أوحشتك ؟ ! . منذ متى .. منذ متى لم
 ترنى ؟ . لا أدري .. منذ اشهر كثيرة .. متى كانت آخر مرة
 يا ميشو ؟ ! .
 تبسمت لاورلاك ثم هتفت :
 - اليس بجميل ؟ .
 - بالتأكيد .. يا لعينيه الذكيتين .. كانه يعرف شيئا ..
 - انه يعرف ! . اليس كذلك يا ميشو ؟ . اذهب وحى السيد
 العزيز .. ستصبحان عما قريب صديقين ..
 وانزلت القط ، فرفع ذيله وجعل يتمسح بساقيها .
 - ادعه يا ستيفن .. انه ودود .. سيذهب اليك ..
 جلس اورلاك القرفصاء وربت على ركبته .
 - ميشو .. تعال .. تعال نتعارف ..
 تحرك القط نحوه بتؤدة .. واذا هو يتقدم مد اورلاك يديه
 ليلتقطه ..
 لكن ميشو توقف فجأة .. ثم قوس ظهره واظهر أسنانه ..
 حاول اورلاك أن يقبض عليه بكلتا يديه .. لكنه نفر وتحول عنه .
 ثم عدا عبر الشرفة . وصاحته لويز فى أثره وهى مدهوشة .
 - ميشو .. لا تكن وقحا تعال هنا حالا ..
 لكنه كان قد اختفى عن الانظار ..
 نهض اورلاك وتحول عن لويز ليخفى وجهه : ثمة شيء كدر
 السكون .. كدر غروب الشمس وأضواء مونت كارلو المرتعشة .

اختفى كل ذلك خلف مشهد آخر .. مشهد عروسة أو بقايا عروسة ممزقة .

— أرجو ألا يحزنك هذا يا حبيبى .. اننى آسفة .. لست أدري ماذا دها مشو .

— يبدو أنه لا يحبني ..

وجاءهما صوت أنجى قرب النافذة المفتوحة .

— انه أمر قريب .. ان مشو يصادق الأعراب عامة .. ثم صمت هنيهة وأردف :

— حسنا .. سيكون العشاء جاهزا خلال لحظات .. وأضاف محدثا لويث :

— هل تود الأنسة أن تبدأ فى تفريغ الحقائب ؟

وجد أورلاك نفسه وحيدا فى الشرفة .. وما لبث أن تحول ليذهب الى غرفته . وعندئذ لمح مشو ينظر اليه من آخر الشرفة وهو لا يزال مقوس الظهر .

ناداه آملا أن يستجيب لندائه .. وأخفى يديه خلف ظهره بغير وعى . لكن القط لمعت عيناه فى الضوء الخابى ، ثم اختفى ..

دخل أورلاك غرفته ووقف أمام المراة .. أشرع يديه وأخذا يتطلع اليهما . ولاحظ الصورة المعلقة على الجدار بطرف يمينه .. فهرول عبر الغرفة وانتزعها ، وجعل يدور بحثا عن مكان ليضعها فيه .. وما لبث أنلقى بها خلف دولاب صغير ..

— ٥ —

صحا أورلاك بعد ليلة مسهدة تقطع خلالها نومة . ظل راقدا لحظات ، يصعب عليه أن يتخيل تلاحق الأحداث التى أدت به الى هذه الغرفة ذات النوافذ الضخمة ، المطلة على حديقة تتقلقل فى أشجارها الأغصان .

وأرهف أورلاك أذنيه فسمع زمجرة الريح التى أخذت تهب بشدة حول البيت . فيما عدا ذلك كان السكون تاما . نظر فى ساعته وهو يتساءل هل يحسن به أن يحاول النوم من جديد ..

— ٣٩ —

وما لبث أن جلس في فراشه وتحنى الأغشية بعيداً ، ودلى ساقيه ،
وارتدى روبا ثم ذهب الى الحمام . وبينما كان يحلق ملأ البانيو
بالماء ، ثم غاص فيه .. الى أن سمع وقع خطوات تمر أمام
الباب ..

جفف جسمة بالمنشفة بسرعة ، وعاد الى غرفته وارتنى
ملايسه . وسمع أصوات لويز وأنجى فى الفناء .. ثم سمع نقرها
على بابه ..

— ادخلى يا حبىبتى ..

كانت لويز — من حيث يراها جالسا فى مقعده — أكثر جاذبية
من أى وقت مضى . كان ضوء الشمس قد لون خديها وهى
تتقدم صوبه مادة ذراغيها . كانت ترتدى ملايس الكيمونو الحريرية
وتبدو رائعة .. مست يديها جبينه وداعبت رأسه . وسألته عن
نومه كيف كان . فتمنى الا تلحظ الظلال السود تحت عينيه ،
وغطى يده منفضة السجائر المكتظة بالأعقاب ، وزعم لها أنه نام
نوما طيبا ..

— هذا حسن .. انك تبدو أحسن حالا ..

راى أورلاك عينيها تطرفان وهى تطلق هذه الكذبة المريحة .
ثم وجد نفس العينين تتركزان على الجدار الذى كانت آثار
الصورة المخلوعة تبدو عليه .. فقال بسرعة قبل أن تفاجئه
بسؤالها

— لقد أنزلتها .. انها لم تكن مثبتة جيدا فى مكانها .. خشيت
أن تقع اثناء الليل وتوقظ الجميع .
لمح سحابة من القلق تغزو وجه لويز .
— واين هى .. سأطلب من أنجى أن يثبتها فى مكانها بعد
تناول الاقطار .

— كلا .. أعنى .. لا تزعجى نفسك .. سأتولى تثبيتها
بنفسى فيما بعد .

ومن خلال الباب المفتوح .. انبعثت صيحة مفاجئة من أنجى
.. تحولت لويز وقفز أورلاك على قدميه ..

— مدموازيل .. مدموازيل لويژ .. تعالى بسرعة ! ..
هرعا الى الباب المؤدى الى الصالون . كان انجى يقف بجوان
البيانو .. قد تصلب جسمه ويداه على وجهه ، يغطى عينيه ..
وكانت النوافذ وراءه مفتوحة . والستائر تتقاذفها الريح . هرولت
لويژ صوبه ..

— ماذا هناك يا انجى ؟ . ماذا حدث ؟ .

حرك انجى يديه ببطء عن عينيه . كان وجهه ممتقعا والدموع
تجرى على خديه . اشار بيد مرتعشة .. فى الشرفة يا مدموازيل
.. انظري بنفسك ! ..

دخلت لويژ الشرفة وانجى فى أعقابها .. وتبعهما أورلاك :
لا يدري لماذا اتقبضت معدته فجأة .. اشار انجى مرة أخرى ..
بينما جثت لويژ على ركبتها بجوار ميشو وقد انبعثت منها صيحة
وعب .. كانت جثة ميشو ممددة .. العينان تحمقان والراس
مطوحة واللسان بازوا من الأسنان .

صاحت لويژ تنادى على القط صيحة ألم ورثاء !
— ميشو المسكين .. لقد مات ! ..

اقترب أورلاك .. وهو يستند الى سياج الشرفة .. ويدرك
فى الوقت نفسه مدى قوة ذراعيه من قبضته على السياج ، ومدى
الضعف الذى انتاب معدته ، كتقلص مفاجيء .
أخذ انجى يتحدث فى همس :

— لم يأت ميشو الى عندما دعوته هذا الصباح .. فذهبت
أبحث عنه .. وجدته هنا ، خارج نافذة المسيو أورلاك .. ممددا
باردا . لا شك انه مات فى الليل ..

شعر أورلاك ببصر الرجل مصوبا عليه .. حاول ان يتجنبه ..
— ألم تسمع شيئا يا سيدى ؟ ..
هز أورلاك راسه :

— كلا .. كلا .. لم أسمع شيئا ..

قصاحت لويژ :

— لكن من الذى فعل به هذا ؟ . اتظنه قارا كبيرا ؟ ! ..

تطلع أورلاك إلى أنجى ، في الوقت الذي تحول فيه الأخير
ببصره واخذ يحمل في الأفق البعيد وهو يقول :
- كلا يا آنسة .. الفأر الكبير ليست له أيد .. انه لا يستطيع
أن يخنق ! ..

- هل تعنى أن أحدا دخل هذه الشرفة وقتله ؟ ! ..
شعر أورلاك بقلبه يتألم لمنظر الحزن والاشمئزاز في وجه لويز
وهي تتساءل :
- لكن لماذا ؟ .. لماذا يقتلونه ؟ ! ..
- حقا لماذا يا آنسة ؟ .. يا لميشو المسكين .. انه لم يؤذ أحدا
على الإطلاق ! ..

ثم أمسك ورفع بصره إلى السحب التي كانت تمر من فوقهم
بكثافة :
- لكن ريح الشمال ريح غريبة .. عندما تهب يمكن أن يحدث
أى شيء ! ..
- ريح الشمال ؟ ..

- انها ريح تنذر بالشر يا آنسة .. انها تدفع الضعفاء إلى
القفز من قمم الصخور ، وتجعل النساء العجائز يفرطن في تعاطي
الأقراص المنومة ! .. انها الريح التي تكتنف المشرحة .. كالشيطان
يلهب بأنفاسه عنق المرء .. انها يمكن أن تؤثر تأثيرا غريبا على أعصاب
الإنسان ، بل ربما تدفعه أيضا إلى القتل ! ..

تصليب أورلاك ، وبدا يداخله شعور بأن كلام أنجى موجه
إليه ، وأن كان قد تحول بوجهه إلى لويز ..
قامت لويز أخيرا وهي تتساءل بحرقة :

- لكن من يا أنجى .. من يمكن أن يكون قد ارتكب هذا
الحادث ؟ ..
- لا أدري يا آنسة ..

قالها بشيرة من يحاول ألا يكون له دخل في شيء .. ثم لخلع
مسترته وانحنى على الأرض ولف فيها جثة القط .. ثم استطرد :

— كان هناك بعض الفجر في المنطقة ليلة أمس يحاولون نرسك
الفرص للسرقة ، لكنني طردتهم بعيدا .
وقام وهو يحمل لفافته وأردف دون أن تلوح في صوته لهجة
الاقتناع :

— ربما كان واحدا من هؤلاء الفجر ..
فتحمست لويز :

— أجل .. بالطبع .. لابد أن يكون الأمر كذلك .. ساذحين
وأبلغ البوليس تليفونيا .

— لا شك أن الفجر قد رحلوا يا آنسة ..

— لكن البوليس يستطيع أن يوقفهم ..

— واتجهت لويز صوب الصالون ، لكن أنجى قطع عليها الطريق
بحزمته :

— يا مدموازيل ..

— نعم يا أنجى ..

— لا تبلى البوليس .. انه ليس في مقدورنا أن نثبت شيئا ..

لن نجنى سوى الحرج .. ثم .. من يدري .. ربما الذي ارتكب
الحادث ليس من الفجر !

قال ذلك واتجه خارجا .. ولمح أورلاك شبه انحناء منه وهو
يمر أمامه الى نهاية الشرفة ..

أخذت لويز تتطلع الى الضباب الذي تحمله الريح الندية من
البحر .. ثم قالت :

— اعتقد انه على صواب ..

ونحنقتها العبرات .. فتحركت بسرعة الى ذراعي أورلاك
ودفنت وجهها في صدره . وظل هو يحرق عبر الشرفة . لا يرى
هياكل الاشجار والضباب يكتنف أغصانها كالقطن المندوف . بل
يرى عروسة صغيرة ممزقة . وجثة قط .

تناولا افطارهما في صمت .. كان أورلاك لا يستطيع أن
يسيق طعاما ، لكنه اكره نفسه على تناوله ليقنع لويز أن فنجان
القهوة الوحيد الذي شربته لا يكفي لتبدأ به نهارها ..

تطلعت اليه z من فوق حافة الفئجان ، والتعاسة تبدو في
نظرتها :

- اننى آسفة يا حبيبى .. ليست المسألة اننى كنت مفرمة
بميشو فحسب . لكن ثمة شىء فظيع يحيط بحادثه ... شىء
وحشى لا مبرر له ..

لم يكن فى هذه اللحظة يستطيع أن يعود الى الخوض فى هذا
الموضوع .. لم يستطع الا أن يتمم بكلمات التعاطف ليخفف عنها
.. خيل اليه أنه عاد الى سجنه الأول .. الى ذلك الجدار الذى
يحجب عن عقله كل تفكير منطقى ..

- اظن أنك تريد أن تنتهى من افراغ الحقائب .
هزت رأسها علامة الإيجاب .

- سأترى قليلا الى أن تنتهى من ذلك .. ثم اودف معجلا ؟
- أحب أن ألقى نظرة على الحديقة .. ان .. الرجل .. ربما
ترك بعض آثار ! .

اغتنبت ابتسامة ومست يده مسة خاطفة .. فاطمان الى
أنها لم تلاحظ تلك الهزة غير الإرادية التى اعترت يده وهو يسحبها .
اتجه الى الخارج .. كانت الريح رطبة ، تئن فى سطح الفيلا .
والاشجار والزهور العالية تتمايل من وطأتها . لم يكن ثمة أحد .
فطن أن الحديقة خالية .. الى أن كاد يصطدم بأنجى فى ركن قديم
توارى خلف أعراش عالية .
- آسف .. اننى لم أرك يا أنجى .

رفع العجوز بصره لحظة .. ثم دس جوارفه فى الأرض دون
كلمة .. كان قد خط مستطيلا صغيرا على الأرض - ثلاثة أقدام
فى قدمين - وشرع يحفره . وكانت الأرض صلبة لا تلين بسهولة z
وثمة عرق على جبهته ، وكان الجاروف يتحرك ببطء فى يده ..
وانفاسه تتلاحق مسموعة .

- عمل شاق .. اليس كذلك ؟ .

- أجل يا سيدى ..

نطق بها وهو يشهق ..

— دعنى أساعدك ..

فدس أنجى الجاروف فى الارض بقوة ، لكنه لم يتفلغل أكثر
من بوصة .. وقال :

— يجب الا تتعب نفسك يا سيدى .. فقد كنت مريضاً .
الا ان أورلاك تناول منه الجاروف وهو نافذ الصبر ، وهتف :
— هراء .. اننى قوى كالـ ..

لاحظ أورلاك عينى العجوز مثبتتين على وجهه . لم يستطع
أن يواجه هذا التحديق . فحول بصره عنه .. ليجد فيما وراءه
صندوقاً صغيراً .. قد صنع صناعة فجأة من ألواح خشبية ثبت
بعضها الى بعض . كان هذا هو تابوت ميشو .

اندفع أورلاك يدس الجاروف بحمية . ثم رفعه مملوءاً بتراب
الارض . وظل نحو دقيقتين يعمل بهمة ، وكومة التراب بجوان
الحفرة تعلو وتتضاعف . وكان كلما رفع عينيه عن الارض لمح
تابوت القط يملأ بصره .

وعندما توقف كان العرق يجرى خيوطاً على صدره وظهره .
فصاح :

— ياله من نهار حار ! .

— كان يجب على السيد أن يرتدى قبعة . ان الشمس هنا
كالرياح . يمكن أن تكون خطيرة ! .

تطلع أورلاك الى أعلى . كانت الشمس محتجبة .. فألقى
بالجاروف على الارض وتمطى . شعر بقلبه ينبض بشدة ، وهو
يرسل الدم يهدر غاضباً فى عروقه .. على طول ذراعيه الى يديه
اللتين كان يرفع بهما الجاروف ممثلاً بالتراب دون جهد يذكر .

واجه أنجى .. وابتدره قائلاً :

— ماذا تقصد بالضبط ؟ .

اتسعت حدقتا العجوز :

— انا .. يا سيدى ؟ .

— نعم أنت .. ليس ثمة من أتحدث اليه غيرك .. أريد

جوابا .. أريد أن أعرف بالضبط ماذا تقصد من وراء كل هذه
الإشارات والتلميحات .
وقف أنجى خافض الرأس .. وقفة اجلال واحترام .. لكنه
قال :

- لست أقصد شيئا .. اننى فقط تواق مثل الأنسة الى أن
يستعيد السيد صحته فى أسرع وقت .
ثم انحنى ورفع التابوت ودلاه فى القبر الصغير .
- أشكرك يا سيدى على معاونتك .. لو استطاع ميشو أن
يشكرك ، لفعل أيضا :
- أنت تعتقد اننى قتلته .. اليس كذلك ؟ .

انفجر أورلاك بعبارته . وادرك أن صوته قد أخذ يعلو فى
عصبية ..
تراجع أنجى ، شأن المهزوم .. وقال فى تردد :
- سيدى .. لم أقل أبدا ..

- كلا .. ولكننى لمست الطريقة التى ما فتئت تنظر بها الى
.. وكل هذه العبارات الخبيثة التى تشير بها من طرف خفى .
كان يشعر عندئذ بيديه تنقبضان وتنبسضان الى جانبيه .. ثم
صاح فى غضب :

- هل هذا ما تعتقد اذن ؟ . لماذا لا تفصح عنه .. لماذا
لا تقوله ؟ ! .

فلزم العجوز الصمت .. وعندئذ مد أورلاك ذراعيه وأمسك
به من سترته ، وجعل يهزه هزا عنيفا حتى سقطت قبعته . وتعثر
فى طرف القبر .. واصطدم حذاءه بألواح التابوت فاخترمها .
واستمر أورلاك يصيح :

- هيا اذن .. قل .. عليك اللعنة .. مم تخشى .. هل تظن
أننى سأقتلك أنت أيضا ؟ ! .
وفجأة .. وخلال حمى الغضب التى انتابته ، سمع صيحة
مفزوعة من لويز تهتف باسمه :

- ستيفن .. ستيفن .. هل جئت ؟ ! .

توقف وأرخى يديه عن الرجل .. فجثا الاخير على ركبتيه .
والزبد يجرى من طرف فمه . وتحول أورلاك - وفي رأسه دوار -
الى لويز التى كانت تعدو نحوه .. ثم أخفى وجهه فى راحتيه ..
وأخذ ينتحب وهو يردد :

- أنجى .. أنجى .. اننى آسف .. اننى ...

تم مضى متعثرا بعد أن كشف وجهه .. بعيدا عن لويز ..
لكنه ما لبث أن تبين أن الأعراش العالية التى تحيط بهذا الركن
ليس لها سوى منفذ واحد . فتحول من جديد - كحيوان مطارد -
وتطلعت اليه لويز ، ثم ساعدت العجوز على النهوض .
- هل أنت على ما يرام ؟ .

أوما لها الرجل بالإيجاب .. لكن بجهد واضح . فتحول
بصرها تلقائيا الى التابوت الذى تحطم أعلاه .. وكان قراء القط
يبدو من فرجات ألواح المهشمة .. فهتفت :

- يا الهى .. ماذا حدث .. فيم كنتما تشاجران أنت
والمسيو أورلاك ؟ .

هز أنجى كتفيه .. وسكنت ملامحه فلم تعبر عن شيء :

- لا أدري يا آنسة .. ربما .. سوء تفاهم .

ثم تطلع فجأة الى حيث كان يقف أورلاك .. نظره فى عينيه ..
وقال

- اذهبي وراءه ! . انه رجل مريض يا آنسة .. مريض جدا .
ما كاد أورلاك يسمع هذه العبارة .. حتى تقدم دوز وعى
وتجاوزهما من منفذ الأعراش .. وكانت ساقاه تتحركان فى غير
انتظام ، كساقى عروسة تتحرك بخيوط . لكنه شد الخطى
سريعا الى الدرج الحجرى ، الذى يؤدى الى الشرفة . وأوشك
أن يكون فى أعلاه عندما سمع خطوات لويز خلفه بسرعة .. كان
كل عصب فيه يهيب به أن يمضى قدما . أن يسارع بالفرار ..
لكن الى أين ؟ . أكره نفسه على التوقف . ولم يستطع أن يتحول
ليواجهها . بل تريت حتى تتجاوزته وتواجهه . ولم ينظر لها الا
عندما حاذته .. فحاول أن يفتصب ابتسامة معتدرا .

- لقد أخرجني عن وعيي .. كان هذا جينا مني بالطبع ..
لكن .. كيف حاله الآن ؟ . هل يا ترى أذيته ؟ .
- كلا .. ان أنجى أقوى مما يبدو .. ان أعصابه اهتزت
بعض الشيء .. لكنه سرعان ما ينسى ما حدث .
- الحمد لله ..

كان غضبه قد انقشأ تماما .. لم يبق الا شعور بالذنب
والخوف ..
- لست أدري ماذا دهاني .. اتعلمين ؟ . لو لم تكوى قد
جئت في لحظتك ، لربما كنت قد قتلته ! .
تطلع الى لويـز مترددا .. فتحركت نحوه وشبكت ذراعها في
ذراعه ..

- كلا يا حبيبي .. ما كنت تفعل ذلك .. ان أنجى مثل
حيوان اليف . لكنه أحيانا يبدو مستغزا .. كما بدا معك ..
وأنت فقدت أعصابك فقط .. هذا هو كل شيء .

- حقا .. لقد فقدت أعصابي تماما ! .
- تعال الى الداخل .. ربما كان السبب في كل هذا هو هذه
الريح الملعونة .

تقدمته الى الصالون .. وهي تقول :
- ان ما يقولونه عنها صحيح .. انها تثير الأعصاب أحيانا .
- حتى برغم ذلك ..
لكنها وضعت يدها على شفتيه :

- أرجوك يا ستيفن .. لقد انتهت المسألة .. لن يحمل لك
أنجى أية ضغينة . فلننسها تماما .. لننس انها حدثت .

غمره الارتياح .. وتطلع من جديد وهو يدخل الحديقة الى
أنجى وهو يهيل التراب في الحفرة .. وقال :
- حسنا .. لكننى نخجل من نفسى أشد الخجل . ماذا افعل
لأبين لك مقدار أسفى ؟ .

- اوه .. أستطيع ان افكر فى أشياء كثيرة ! . فلنر الآن .

تبسمت له .. وأضاعت ابتسامتها الحادثة من ذهنه تماماً .
ثم هتفت في حماس :

- نعم .. تستطيع أن تعزف لى الليلة بعد العشاء ..
هل توافق ؟ .

شعر بفبطة وعرفان ، فجذب ذراعها الى جنبه ؛
- أوافق .

لكنه اخذ يشعر بمرور النهار بأن تلك الثقة التى أعلن بها
موافقته تغادره .. كانت الريح لا تزال تهب عاصفة من البحر
والشمس لا تبدو من وراء السحب الا فى لمحات خاطفة .. واخذ
أورلاك يمرن أصابعه على المقعد الذى كان يجلس عليه . وقد أخفى
يديه . لكن أصابعه كانت متصلة ثقيلة الحركة .

وفى المساء خفت الريح وصفت السماء بسرعة . وبرز القمر ،
فجلس الى البيانو بنفس التوجس الذى داخله من قبل .

- هل تريدان حقا أن أعزف لك الليلة ؟ .

كانت لويز بجوار النافذة . تتطلع الى الخارج فى هدأة الليل .
ولاحت الفبطة فى عينيها وهى تحول وجهها اليه . لكن أورلاك
استشف من وراء هذا الحبور مسحة من القلق .. نفس المسحة
التي لم تغادر وجهها طيلة تلك الشهور منذ وقع الحادث .

- لقد وعدتني يا ستيفن .. أتذكر ؟ .

- آه .. بالطبع .. لم انس ذلك .. لكن .. تعلمين اننى لم
أتمرن الا قليلا منذ توقف التدليك ..

كان يكذب .. ذلك أن أصابعه لم تمس البيانو الا مرتين ..
كل مرة كانت لها نتائج مؤسفة .

بدا معزوفة لشوبان .. جلس متوترا . ركز عقله فى العزف
وأخذ يرقب بلهفة يديه وهما تنتقلان على المفاتيح .. كان يعزف
الفاتحة الموسيقية ببطء . بعقله أكثر منه بأصابعه .. وفجأة ..
وكانت النغمة سريعة . تعثر وعزف لحنا شازا .. فتوقف بفتة
وأخذ يتطلع الى يديه فى ازدراء .

- أترين ؟ . لا فائدة ! .

تحولت اليه لويز بسرعة .
- كلا . . لا تتوقف . . استمر يا حبيبى . . أرجوك . . ابدا
من جديد ! .

تردد أورلاك . . أخذ يحرك أصابعه فى اضطراب ، وهو يحدق
فى الندوب التى خلفتها الجراحة .

- حسنا اذن . . لكن تعالى هنا . . لاستطيع أن أراك .
تقدمت لويز ، ووقفت فى منحنى البيانو فى مواجهته . بدأ يعرف
ويتطلع اليها من حين لآخر . لم تعد عيناه تلاحقان يديه فى كل
حركة . أخذ التوتر يزايله شيئا فشيئا . وأخذ جسمه يتشرب
روح المعزوفة الموسيقية . وراح يرقبها وهو يشعر بأنه يستمد
القوة والثقة منها . الى أن وصل الى اللحن الذى تعثر فيه . .
لكنه طاعه هذه المرة ولان سريعا فى يديه . تحولت المعزوفة عندئذ
من تجربة الى نصر سجله . . وعندما انتهى تطلع الى عيني لويز
المتوهجتين :

- أشكرك يا ستيفن . . لقد كان عزفا جميلا . .

أشرع يده لتقابل يدها . .
- الفضل لك يا لويز . . هل كنت تدركين بالضبط معنى
ما تفعلينه . . لقد أعدت الى ما ضاع منى ! .
جذبها نحوه وهمس :

- كنت أستمع منك القوة . استعرت جمالك وأضيفته على
الموسيقى . . يستطيع شوبان أن يشكر لك صنيعك مثلما أفعل ! .

كانت قد حاذته الآن . . فدفن وجهه فى صدرها . وشعر
بأصابعها تتخلل شعره . . ثم تمسح برفق على جبينه من عارض
الى عارض . .

مد يده حول خصرها . . قهتفت باسمه فى حب . وتعانقا .
لكن دوامة ذهنه بدأت تدور فجأة . . شعر بوجهه يتقلص
فى ألم . . ففى الوقت الذى داخلته الرغبة فى أن يمتلك لويز كان
ثمة رغبة أخرى تنحدر الى حواسه من هذا الجدار الغريب الذى
يقسم عقله قسمين .

كانت لويز مستسلمة بين يديه .. ترتو اليه بالحب والرغبة ،
ونخال عينيها تكبران وتستغرقان بصره كله . وبدرت منها رجفة .
لكنه أدرك أن يديه هما الباعثان على ارتعاشها . وفجأة انطلقت
منها صرخة ذعر مكروبة ، صفا من جرائها ذهنه على الفور ، فوجد
يديه حول عنقها تشددان الخناق .. بينما كانت أظافرها تعبث
محمومة في رصفه ! .

كان يرتجف ، وهو يسمع زمجرة غريبة تتصاعد من حلقه .
يجذب يديه بعيدا وقفز الى الوراء ، ولمح لويز ، بعينين نصف
مغمضتين ، تلوذ ببعض الرياش . قد اختفت من وجهه الرغبة
وأخذت تحرق فيه بنظرة خوف ورثاء . كانت الدموع تنهمر على
خديها . وكانت تمسح بيد على عنقها المرضوضة . ويدها الأخرى
على جسمها ، كأنما تحول بينه وبين هجوم وحشي آخر .
- ستيفن .. لا شك أنك جنت ! .

فتح عينيها على سعتيها .. عاد اليه اليقين أخيرا ، فأوما
موافقا . وأطلق ضحكة مختنقة زادت من معالم الخوف في وجه
لويز .. ثم صاح :

- نعم .. مجنون ..

وتوقف ليقاوم شعورا بالمرض دهمه فجأة .. ثم اردف :

- يجب ألا ابقى هنا .. اننى لا أستطيع السيطرة على نفسى
.. اننى لم أعد فى مأمن ! .

تحول ومضى . لكن صيحة من خلفه فاجأته :

- كلا يا ستيفن .. انتظر ! .

استمر يسير متجاهلا نداءها . هروا الى الشرفة . وهبط
الدرج عدوا . ثم هرع الى جانب البيت ، وأخذ يعبث فى مزلاج
الجراج . الى أن فتح بابه على مصراعيه .. وقفز فى السيارة
وأدار محركها ، فانطلقت الى الامام .. ثم ضغط على الفرامل
عندما لمح لويز على ضوء مصباحى السيارة . تقف فى طريقها
لا يسترها الا غلالة متطايرة .. لكنه لم يتوقف ، بل مال بالسيارة
وتجاوزها بما لا يزيد عن الشبر ، وانطلق بها الى الباب ، وخرج

الى الطريق بلا تردد . كانت اصابعه مشددة على عجلة القيادة كقبضة خائفة .

. كانت عاداته الحذر في قيادته . لكنه الآن صار يطوح بالسيارة مخاطرا في كل منعطف . يضغط بغير وعى على ضابط السرعة . . . قد انتابته رغبة اليمة في أن يتباعد عن المكان . أن يصل الى مكان غيره . كان كل جزء في الطريق الممتد مجرد وسيلة يصل بها الى جزء آخر . وكان يطوى الارض ولا يجد الا الرغبة في المضي قدما . كان يفعل ما فعله من قبل . . . يهرب في الظلام . . . لكنه الآن لا يبالي . عندما هرب من هيلجا كان الفرع يركبه . الفرع مما يمكن أن يفعله . لكن مما يدعو الى السخرية الآن . أن يجد نفسه يهرب مرة أخرى . من لويز هذه المرة . قد تركها هي نهبا للفرع الذي عاناه .

كانت العلامات التي تحدد اتجاه الطريق تمرق بجواره بسرعة لكنه تجاهلها . ترك أمره للمصادفة . ظل يسوق السيارة بضع ساعات الى أن شعر بالألم في معصمه وذراعيه ، من فرط ما قبض على العجلة أمامه . كفريق يتعلق بشيء .

بدا الفجر يبرز . . اخذت الاشجار التي كانت تبدو هياكل سوداء تتحول الى ظلال رمادية . انتزع احدى يديه من عجلة القيادة . وجدها قد اتخذت شكل المخلب من طول تشديدها عليها . . اخذ يحرك اصابعه ليعيد الدم اليها ، واستغرق ذلك دقائق حتى استطاع أن يفتح اليد ويبسطها . ثم وضعها على العجلة وأرخى الأخرى . كان عندئذ يمرق بالسيارة عبر قرية هاجعة . . وسقط ضوء من مصباح في الطريق على يده ، فصاد الى ذاكرته المخلب الذي كان يطبق على عنق لويز . والابهام يفوص فيه ؟ بينما كان جسدها يهتز في يأس يئس ويمنة ويسرة تحت وطأته .

أخذ يشنى أصابعه ويبسطها وقد داخله شعور بالمرارة ، كانت الصور تتلاحق في ذهنه ، في غير اتساق ، الى أن توقف فجأة عند صورة فولشيف ، وهو يقف بجوار مائدة العمليات . ووجد قدمه تضغط على الفرامل وقد دهمه عزم محموم على ادارة السيارة

والسير شمالا صوب باريس . حتى يدع هذين المخلبين يلتقيان
فولشيف جزاءه !.

لكنه سرعان ما رفع قدمه قبل أن تقف السيارة عندما تذكر
أن فولشيف ليس في باريس .

كان ثمة لافتة أمامه في جانب الطريق ، استدلت منها على أنه
يدخل مارسيليا . فتطلع الى مؤشر الوقود . ووجد ابرته قد
تجاوزت خط الخطر الاحمر وأخذت تتذبذب في القاع . فتمهل
بالسيارة وهو يسير صوب الضواحي . كانت الثورة التي اندلعت
في داخله قد أخذت تنطفئ ، وحل محلها اعياء شديد . لم يستطع
أن يبقى عينيه مفتوحتين الا بتركيز عظيم . ووجد نفسه في لحظة
يرفع رأسه الذي كان قد انحدر منه عفوا على العجلة . . عندما
انبعث صوت بوق مفاجيء . كانت سيارته قد انحرفت عن جادة
الطريق واقتحمت سبيل سيارة نقل ضخمة كانت قادمة في الاتجاه
المضاد مكتظة بعمال ركبهم الفرع لمرآة هكذا . واستطاع في آخر
لحظة أن يميل بالسيارة ليتفادى الاصطدام . واصوات العمال
والسائق تلاحقه بالسباب واللعنات.

ادرك أنه لم يعد في مقدوره أن يقطع مسافة أخرى . فأوقف
السيارة وطوح بجسمه الى الورا في مقعده ، وتمطى . شعر
بعينه ثقلا من جديد . لكن كان ثمة شيء أقوى من النوم هو
ذلك الشوق الذي استشعره في قرارته الى قدح من القهوة .
فتح الباب ومد احدى ساقيه . تراءى له الطوار كأنه يسبح
أمامه . فمكث لحظات ليميد الاستقرار الى نفسه . والى بصره .
ثم رفع عينيه وتطلع الى جانبي الطريق .

لم تكن هذه هي مارسيليا التي عرفها . . تلك كانت تفص
بالفنادق الرشيقة والحيوانات الحسنة المنظر . والحدائق وقاعات
الموسيقى . أما هذه ، فلا يرى من الشارع الذي هو فيه الا ابنية
رثة ومقاهى رخيصة واكشاك تعرض فيها الحاجيات . وتفوح
منها رائحة السمك والكرب .

بحث ببصره عن مقهى يروقه منظره بعض الشيء . وجد لافتة

على بعد ثلاثين ياردة تقول : فندق ومقهى (الليبرتى) معلقة على المدخل . وكان ثمة مقاعد ومناضد مصفوفة على شرفة فوق مستوى الطواز . كان المقهى مفتوحا . وكان هناك عميل طويل نحيف يجلس الى اقرب منضدة من الباب وهو يدس كعكة فى قديم من القهوة امامه .

نزل اورلاك من السيارة ، واغلق بابها ، ثم تحرك مثقلا الى المقهى . شعر بنفسه يترنح ؛ لكنه ركز اهتمامه بقدم القهوة على مائدة الرجل . كانت ساقاه توشكان ان تنهارا من تحته ؛ لكنه اغراها بالمضى . بأمل تلك القهوة القوية المنعشة السوداء .

وجد الرجل يتحول اليه يرقبه . كان شعره اسود ، سوافه طويلة ممتدة بجوار الأذنين . وكانت ساقاه نحيلتين طويلتين على نحو غير عادى - تطلان من الجانب الآخر من المائدة . مشهدا يستحق النظر ! .

حاذى اورلاك المائدة . كان الرجل الطويل يتطلع اليه عندئذ فى حيرة . ثم افتر فمه فجأة عن ابتسامة شوق ، تجاهلها اورلاك ، كما تجاهل اليد التى ارتفعت لتحيته . وتقدم صوب باب الفندق ، وتمش فى درجة صغيرة . . كان مكتب الاستقبال خاليا . فاستند اليه . وثبتت عيناه على جرس امامه . . اوشك ان يضغطه عندما انفتح باب من الخلف وخرجت منه امرأة بدينة كانت تزرر رداءها الاسود . . فسألته عن بغيته .

فتح اورلاك فمه ، لكن صوته احتبس . وفجأة دهشته نوبة سعال تركته يشهق . ويداه على ركبتيه . . ثم غمغم :
- أريد غرفة . . هل لديك غرفة ؟ .

- بالتأكيد يا سيدى . . مرحبا بك فى الفندق . . انا مدام الليبرتى . . بالطبع توجد لدينا غرفة . .

وتطلعت الى رف فيه صفة من المفاتيح . . ثم عادت يبصرها الى اورلاك . .

- هل انت وحدك يا سيدى ؟ .
هز لها رأسه بالإيجاب .

— وكم ستقضى هنا ؟ —

— لست أدري بالضبط .

قالها أورلاك في ثناقل ، بينما انهمكت مدام ألبرتي في تتبع السجل الذي أمامها . . ثم قالت :

— رقم ١٣٠٠ يا سيدي . . في الدور الثاني . غرفة جميلة بشرقة . اذا شئت أن تتفقدنا . .
— سنأستأجرها . .

حولت مدام ألبرتي السجل نحوه :

— والآن يا سيدي . . وقع اذا سمحت . .

بدأ أورلاك يكتب اسمه . . ثم توقف فجأة . . كلا . . لا يمكن أن يكتب هذا الاسم . . انه يهرب الآن من ماضيه ولو وقع باسمه الحقيقي ؛ للحق به هذا الماضي في خلال نصف ساعة من توقيعه . . سيكتظ هذا الفندق بالصحفيين ينهالون بأسئلتهم في غير رحمة . . سيطلبون منه ايضاحات لمسلكه لينشروها في صدور الصحف المسائية . انه يستطيع أن يتخيل ما ينشرون : أورلاك يؤثر الاختفاء . . هل انتهت فجأة حياته العملية اللامعة ؟ . وأسوأ من هذا كله عنوان يقول : ما هو سر أورلاك ؟ ! .

ابتسم في براءة . . سيكون من العسير عليهم أن يكتشفوا هذا السر ان كان ثمة سر . ولعلمهم يطلعونه على مثل هذا السر لو عرفوه . .

دس التلم في المحبرة . . ثم كتب « س . ستيفن » . .

— وجقائبك يا سيدي ؟ .

— ليست معي جقائب .

تفحصته المرأة بعينين اثقلهما (الرميل) وابتدرته :

— لعلك اذن في هذه الحالة . .

— بالطبع . . بالطبع . .

أخرج حافظته بأصابع مضطربة . وهو يدرك تماما وقع نظرات المرأة المثبتة على حزمة النقود . استخرج ورقتين . . ثم قال وهو يقدمهما إليها :

— أود أن أتناول قذحا من القهوة قبل أن أصعد الى غرفتي .
ثم تحول عن مكتب الاستقبال ليجد الرجل النحيل يقف في
الباب — يكاد يحاذيه — وقد أمسك بيده كعكة وبيسده الاخرى
صحيفة . فمرق من جواره معتذرا . عبر الباب الى الشرفة
وجلس الى اقرب مقعد .

كانت القهوة قوية ساخنة — أمدته بالقوة على أن يعود الى
الداخل — ويتجاوز الرجل النحيل وهو ينحنى بطوله على السجل
.. ثم يصعد الى الدرج في أعقاب مدام اليبerty ..

— هذه هي .. انها غرفة رائعة .
فتحت له باب الفرفة رقم ١٣ . وتجاوز عتبتها لتصدمه
رائحة عطنة أشد من الرائحة في أسفل الدرج .. وقالت المرأة :
— انك وحدك يا سيدى .. لكن اذا شئت في أى وقت أن تغير
رأيك ...

ثم أمسكت دورق الماء وشرعت تجفف جوانبه بالمنشفة ..
وأردفت :

— فستكون هناك زيادة طفيفة في الأجر .. هل لديك يا سيدى
الآن كل ما تريد ؟
أوما لها موافقا .. ثم جلس على حافة الفراش ..
— اذن ..

ولم تتم عبارتها وهى تتراجع ، اذ سمعها أورلاك تطلق الباب
وهى تحيي أحدا بصوت عال :
— هل تناولت افطارك يا مسيو نيرون ؟ . حسنا .. يا له من
صباح جميل !

صباح جميل ؟ ! . تكوم أورلاك على الفراش .. ثم انزل
الستائر ليحجب ضوء الشمس الساطع الذى كان يسقط عبر
الحجرة . وحانت منه وهو يفعل ذلك نظرة أخيرة على الطريق ..
فلمح الرجل النحيل مرة أخرى يقف بجوار سيارته وهو يحرق
في رقما . ثم استقام وتطلع الى النافذة . وتلاقت أعينهما لحظة ..

شعر أورلاك عندئذ بفضيت يجتاحه فجذب الستائر بشدة . .
ثم طوح بالحذاء من قدميه ، واستسلم لأحضان الراحة في الفراش .

- ٦ -

تطلع أورلاك بعين نصف مفتوحة، فشاهد معالم حجرة لم يستطع
تذكرها ، على بعد شبر واحد من وجهه طالعه كم سترته ! وتمنى
أن يتوقف هذا الشيء الذي أيقظه ، بدا كأنه طرق بعيد . لكن
أذنيه استطاعتا بالتدريج أن تنقلا الى ذهنه حقيقة الأمر . . كان
ثمة من يقرع الباب . . باب غرفته . . قرعا ملحا متواصلا . .
هل استيقظت يا مسيو ستيفن ؟ . .
- أدخلى . .

شاهد في عتمة المساء جرما ضخما يتقدم صوبه . . قال له
هقله انها مدام أليبرتي . . لكن نفس هذا العقل كان يجاهد
ليتذكر أين هو بالضبط وكيف جاء الى هذا المكان . . وضعت
المرأة على المائدة بجوار فراشه صينية عليها زجاجة وكأس . .
وسيفون . .

تمتم بشيء ثم مد يده الى الزجاجة . . فأطلقت المرأة ضحكة
كقرقرة الدجاجة . .

- لاشك أن سيدي قد استرد عافيته . . سأترك الزجاجة . .

تطلع أورلاك بعد أن صار وحيدا في الغرفة الى الورقة المثبتة
على الزجاجة . . كانت تقول في انجليزية ركيكة مشكوك في صحتها
ان محتويات هذه الزجاجة خليط من أندر أنواع الويسكى
الاسكوتش القديم ، لكنه عندما صب منها ما ملأ نصف الكأس
وشمه ، تراجع بأنفنة في نفور واشمئزاز . . ثم صب في الكأس
شيئا من السيكون ليقتل اثر الرائحة ، ومس طرفها بشفتين
جافتين ، وترك السائل ينساب ببطء في حلقه . . كان قويا . .
أطار من رأسه كل أثر للنوم ، ثم جلس في الفراش واستدار الى
الوسادة وأخذ يجرع من الكأس ، وضوضاء الطريق تبلغه . .

وثمة نقاش حاد في الجانب الآخر من جدار الفرقة يصدم الأذنية
أيضاً ..

كانت هناك امرأة تصيح بشخص في هزة وسخرية .. بعبارة
انتبه أورلاك عند نهايتها ..

— ... أو ربما في السجن !

— لا تكوني حمقاء يا ريجينا .. انك ستفعلين ما أمرك به ..

— لن أفعل .. أقسم أنني لن أفعل ، أنك وحش شرير

يا فيرون .. أتمنى أن .. أوه ... يا الهى ... أتمنى لو أنك لم
تجعلني هكذا !

تعاليت من الرجل ضحكة خسنة :

— أجملك ! لو أردت منك لما استطعت .. لقد ولدت قدرة

وستظلين كذلك على الدوام ..

لوى أورلاك وجهه في اشمزاز .. وحاول أن يصم أذنيه من

هذا الجدل .. لكن الصوت كان قريباً منه ، حتى أنه كان يسمع

تلاحق أنفاس المرأة .. التي أخذت تسب وتلعن .. ثم ..

— كلا يا فيرون .. دع معصمي .. أنك .. أوه ..

أطلقت صرخة ألم مفاجئة ، فارتفع رأس أورلاك عن الوسادة

وارتفع كوعيه في توتر .. وهو على وشك أن يقفز من فراشه ..

ارتفع صوت الرجل من جديد ..

— هل ترين هذه العروسة ؟ لقد رايتها من قبل يا ريجينا ؟

أليس كذلك ؟ رايتها كثيراً .. انظري .. أن ساقيها وذراعيها

تتحركان .. بأمرى سيتحرك كذلك ساكاك وذراعاك .. وستفعلين

ما تؤمرين !

— ولنفرض .. أنني لن أفعل ..

— كان صوتها مختنقاً بالبكاء ..

— اذن سنضطر الى أن نستل السكين من جديد ! أتذكرين ؟

أن ذلك لم يعجبك المرة الماضية .. سيكون من المؤسف أن نضطر

لذلك .. ربما ..

وسمع أورلاك جلبة مفاجئة ، كصوت مقعد يقلب ، ثم صيحة

من الرجل ؟ واذا بياب يصفق ؟ وأقدام تهرول في الممر ، قففز من الفراش في نفس الوقت الذي فتح فيه باب غرفته وانسل منه شبح أغلقه .. فأضاء أورلاك مصباح القراءة بجوار فراشه .. كان قد أدرك من وقع الخطوات انها لفتاة .. لذلك كانت الدهشة قهشتها .. اتسعت حدقتها وشهقت شهقة المفاجأة ، ثم وضعت أصبعها على فمها وأشارت له بتوسل أن يلزم الصمت ، بينما أخذت تسترق السمع ، كان ثمة خطوات ثقيلة تمر أمام الباب ، ثم تهبط الدرج ، فتنهدت أخيرا في ارتياح ، وقالت :

— لقد ذهب .. معذرة .. كنت أظن الغرفة خالية ..

رجلس أورلاك على حافة الفراش ..

— كانت خالية حتى هذا الصباح ، كنت أحاول أن أنام ..

بدت الفتاة نادمة ..

— اذن فقد أيقظتك أيضا ؟ ..

— لا عليك ..

— الأفضل أن اذهب ..

ثم سوت — بيدين مرتعشتين — ملابسها المتصقة بجسمها على نحو نبه أورلاك الى محاسنها .. ساقان رقيقتان وخصر نحيل .. وفوقه

ما كاد يرفع بصره حتى أطلقت الفتاة صيحة جزع ، اذ سقط فجأة جانب من رداؤها ، كان ممزقا عند الكتف ، وانحسر عنها الى خصرها .. أمسكت به والصقته بجسمها ، لتحاول أن تخفى عريها البادى .. ثم شرعت تعقد ما بين الطرفين الممزقين .. لكنها لما لبثت أن يثست وقطبت وجهها من الألم .. ثم قالت :

— هل تسمح بتثبيته ؟ .. اننى لا أستطيع أن أفعل ذلك ..

هذا الخنزير نيرون كاد أن يكسر ذراعى ..

صب أورلاك بعض الشراب في الكأس ، ومد يده بها وهى

تجلس بجواره على الفراش ..

— خذى هذه ..

ثم جمع الطرفين الممزقين ، وتساءل ، وهو يلمح نهذا نصف

بارز ..

- من هو نيرون ؟ ..
 - انه شريكى .. انا فتاتان نعمل فى الملاهى الليلية ..
 نيرون وريجينا ..
 لاحظ عينيها تتفحصان سترته ، نوعها وطريقه صنعها ..
 لا ما فيها من تجعدات ..
 - لا اظن انك سمعت بنا ..
 كانت يده اليسرى الآن على كتفها تستشعران دفئه .. بينما
 كان يحاول بيده الاخرى ان يعقد طرفى الثوب ..
 - اظن لا .. واظن ايضا اننى لا احسن عقد هذا ..
 - اذن خذ ..
 وناولته مشبكاً من شعرها ثم اردفت :
 - هذا النيرون ! انه شيطان ...
 ثم اهتزت فجأة فسقط المشبك من يد اورلاك على الفراش ..
 - انه يقن انه عبقرى ! موسيقى عظيم .. ولست ادري ماذا
 ايضا !
 وهزت رأسها واستطردت :
 - موسيقى عظيم ! لو سألتنى راى لقلت انه يجب ان يلقي
 به وراء قضبان السجن !
 - ليست هذه جريمة تذكر !
 انطلقت هذه العبارة من فم اورلاك تلقائيا ، بينما هتفت المرأة
 وهى تحول وجهها اليه :
 - انك لا تعرف نيرون !
 كانت جذابة رغم الطبقة الكثيفة من مساحيق التجميل ..
 وكان ذهنه يزداد وهيا بدفء جسمها - على بعد بوصات منه -
 وبان انزلاقة واحدة من أصبعه كفيلة بأن تجعل الثوب كله ينحسر
 عنها الى الخصر ، ليكشف نهويها اللذين كانا يمان معصمه كلما
 شهقت .. !
 - ماذا به .. نيرون هذا ؟ ..
 - ان الحياة اشربته مرارته .. انه مغم بالحقد ، كثيرا
 ما يفزعنى بتهديداته ولعناته ..

- ولماذا لا تتركينه ؟ ..
- اعتقد اننى اعرف ماذا سيفعل بى بالضبط اذا ما وضع
يده على ... انك لا تعرف ما يشعر به المرء عند ما يخاف احدا .
زايسته الآن كل رغبة فيها .. اثبت المشبك فى غير صعوبة بعد
ان سكنت اطراف اصابعه .. وغمغم :
- لا تتحدثنى عنى بهذا اليقين ..
قالت ضاحكة :

- انت ؟ .. وممن تخاف ؟ ..
- ربما .. من نفسى ! ..

وتطلع الى السجادة الرثة على الارض ، ثم وقف وأخرج
خافضته . وجد الفتاة تلتهمها بعينيها وهو يخرج منها ثلاث
اوراق مالية ..

- استطيع ان اساعدك قليلا اذا كنت فى حاجة الى نقود ..
لكنى هزت راسها بالنفى ..
- كلا .. انه لكرم منك بالطبع .. لكن اشكرك .. استطيع
ان ادلك على ما يمكن ان تفعله
- وما ذاك ؟ ..

- تستطيع ان تمنحنى كأسا اخرى من هذا الشراب فى
الرجاجة .. ترى ما هو .. نوع من الويسكى ؟ ..

تذكر اورلاك مذاقه ، وتبسم ..
- نوع منه ' اتريدين بعض الصودا ؟ ..
وضعت يدها تغطي الكأس علامة الرفض .. ورفعت الى
شفتيها وتطلعت اليه ترقبه من فوق الحافة .. عاودته الرغبة
من جديد .. فجلس على بعد بوصات منها ..

- هل ترانى جذابة ؟ !

اقتحم ببصره عينيها ..

- جدا .. !

- انك حسن الطلعة كذلك .. عطف وكريم .. تريد ان
نهبنى تلك النقود ..

— لماذا لم تأخذها ؟ ..

مالت نحوه . ودهمه فجأة احساس اليم ملح بالتملك ؟ غمره
أكيانه كله وهو يلحظ لأول مرة ثنية شفتها السفلى واغراءها ،
شعر بنفسه يتمزق بين الرغبة والاشمئزاز ، فتساءل من جديد .

— لماذا لم تأخذها ؟

— حسنا .. اننى ..

وعبثت باصبعها فى أغطية الفراش ، ثم اردفت ؟

— اننى لا أعرفك جيدا ..

وزحفت يداها على معصميه ، وصعدتا الى ذراعيه .

— لكننى أود ذلك .. أود ان أعرفك أكثر وأكثر .

تحرك نحوها وشعر بذراعيها تطوقان عنقه . وامشدت
شفته الى شفتيها . وشعر بنشوة التلاقى لحظة ، ثم انزلق
إخدها وهمست فى أذنه .

— قل لى ..

— ماذا ؟

— ما هذا الشيء الذى تخافه ؟

تفترت الرغبة التى كانت فى يديه .. قبض على ذراعيها
يقظاظه ، ودفعها بعيدا ، حتى أصبح وجهها فى مواجهته .. جاشت
أعماقه بالدوامة التى كان الارهاق والتعب المضنى قد انجياه منها
لفترة . سمعها تقول فى اضطراب .

— حسنا . لا تخبرنى اذا لم تكن تريد . كنت أبغى فقط ان

أكسب صداقتك .. سنكون أصدقاء .. اليس كذلك ؟ .

قمع بسرعة لمحة الغضب التى كادت تلوح فى وجهه . كانت
الدوامة ترتفع فى أعماقه .. تكتسحه ، تفرق الجانب العاقل من
ذهنه — تلك الكلمة التى سمعها « أصدقاء » لم يخطيء وهو فى
دوامته معناها . كانت دعوة .

... خفف قبضته وتساءل وهو يربت على ذراعها .

— أصدقاء ؟ .. ولم لا .

زابلتها معالم الاضطراب وهتفت .

— هكذا أفضل ..

ثم وقفت بسرعة وانحنيت عليه ثقيله ، وقالت :

— يجب أن أرحل الآن . هل تحضر لتشاهدنى وأنا أرقص .. ؟

اننا نعمل فى ملهى القرد الأزرق !

— ربما ..

كان عقله يكافح الآن ليسترد سلطانه .

— متى .. ؟

— لست أدرى ..

ففادرتة واغلقت الباب ، لكنه كان يعرف عندئذ الجواب ..

.. غسل وجهه . وحك يديه نتوء ذقنه . كانت زيجاجة

الشراب لا تزال ممثلة الى النصف ، فصب لنفسه كأسا بسخاء

وجرعه .. متجاهلا مذاقه ورائحته ، لا يعى الا الدفء والقوة ..

وشعور الاغراء الذى تصاعد فى كيانه مع الدوامة — كان يرى

جسم ريجينا ، مثلما رأى من قبل جسم لويز ، لكن يديه لم تتحولا

عنه فى فزع — بل شرع يضغط وينشط والجسم بين راحتيه

يهتز ويتمايل فى اغراء على نحو لن تستقيم معه أبدا اطرافه

البيضاء !

انفجر الكأس فى يده من ضغطة يده وهو فى تخيلائه . تطلع

اليه فوجده مكسورا ، ويده ينال منها مزيج من الشراب والدم .

ضمد يده بمنديل . وخرج الى الطريق الذى كان خافت

الاضاءة ، يبحث عن حلاق . هبط من شرفة المرمى الى الطوار

ثم توقف فجأة واستدار عندما لمح سيارته الواقفة . كان ثمة

رجل من رجال البوليس ينظر فى داخلها .. وانخرى كتب فى مفكرته

وقم رخصتها .

تحرك أورلاك سريعا فى الاتجاه المضاد . ادرك لأول مرة أن

ملابسه قد تناثرت فيها التجاعيد ، وأن حذاءه مفسر ، وحك

ذقنه من جديد .

— هل تشعر بوحدة يا حبيبى ؟

جاءه الصوت — يلقى هذه المفاتحة المألوفة — من وكن مظلم

يجوار مخزن . ثم خرجت من الركن امرأة الى دائرة النور الخافتة

من أحد مصاييح الشارع ، ولكنها ارتدت فجأة عندما واجهها -
وعيناها ممتلئتان رعبا - ولاذت بالخفاء من جديد .
شعر أورلاك بالدم ينبض في أصابعه . وتوقف عن الخطو .
لماذا ينتظر . . هذه التي اسمها ريجينا . . بينما هنا الآن بقربه
وفي تناوله . .

لكنه سمع هرولة أقدام تعدو ، فأدرك أن الوقت قد فات .
مضى مقطب الجبين . عقله قد عادت إليه غرابته ، واخذ يفكر ؟
هل أبدو مفزعا الى الحد الذي تخافنى فيه امرأة من نساء الطريق ؟
هذا هو الخطر البالغ . . اعظم الخطر . .
كانت الحوانيت التي يستطيع ان يشتري منها ملابس جديدة
مغلقة الابواب . لكنه ظن أن ليس من العسير العثور على حلاق .
بدأت الأضواء تظهر في الشارع . . لافتات من النيون فوق
قاعات رقص ومسارح رخيصة . لمح لافتة حلاق مثبتة في جانب
مقهى قد انتشر فيه الضجيج تشير الى درج حجري يقود الى
بدروم .

وعندما ارتقى الدرج بعد ربع ساعة ، أحس بطراوة . .
وباستعداد أكثر للقاء القرد الأزرق وريجينا !
كان الملهى هناك على بعد مائة قدم منه كان ثمة لافتة تقول :
بار القرد الأزرق ، وكان ثمة قرد أضيئت خطوطه الخارجية
بالنيون . وعندما حاذى اللافتة ، وجد ثمة لوحة - أخرى تقول :
هذا المساء - ملكا الاثارة نيرون وريجينا . وكانت الحروف قد
أخطت على نحو سقيم فوق صورة كبيرة لريجينا . . بملابس
كاشفة . وبجوارها الرجل الطويل النحيل ، الذي كان يرقبه من
الشرفة ، وهو في زى ساحر .

توقف حائرا امام المدخل ، يتناهى اليه نشار أوركسترا لم
يتمرس افراده بالعزف ، وضحكات تنبعث خشنة من أفواه عملاء
سكارى . قال له علقه في شجاعة : لماذا أنت هنا يا ستيفن ؟ . .
تقف خارج ملهى سيء السمعة في اعشاش مارسينيا وأحيائها
القدرة . : ماذا تعنى ريجينا بالنسبة اليك ؟ وماذا يعنى نيرون ؟ !
لكن صورة ريجينا كانت هي الآن جواب كل سؤال . بدا كأن

أقوته تنساب من عقله الى يديه . . كانت يدها هما اللتان تفكران .
أما عقله فلم يكن أمامه سوى الطاعة .

دفع الباب الدوار ودخل . لم يستطع لأول وهلة أن يرى ما
في الحجرة من قرط ما انعقد في جوها من سحب الدخان ، ومن
إقرط ما خفت ضوءها . ووجد وراء الموائد المكتظة باراً يمتد
الى الطرف الآخر . فأخذ يشق طريقه صوبه . . بين أزواج
ملتحمة من رجال ونساء ، لا يكادون يتحركون على حلبة للرقص
تبدو في شكل حدوة .

كان معظم الضوء يأتي من مسرح صغير أقيم الى جانبي
أوركسترا من ثلاث آلات . وعندما بدأت عيناه تعتادان الضوء
القريب ، وجد في وسط المسرح نيرون واقفا يؤدي بعض العابه
السحرية بمائدة وقبة عالية - لكن معظم العملاء الحاضرين كانوا
في شغل عنه .

توجه الى البار وأشار للساقى فحذقه بشك وريبة . طلب كأساً
من الويسكى والصودا ، فأحضره . وأنبأه بالثمن . فأخرج أورلاك
حافظته . وعندئذ تغيرت نظرة الشك الى أدب واحترام . رمى
بورقة مالية على البار ، وأشار بيده للساقى ليأخذ الباقي لنفسه .

- أشكرك يا سيدى .

وتحول أورلاك الى المسرح - حيث خفت الضوء أكثر وأكثر .
- سادتى . .

كان نيرون يرفع يده التي بدت كالعنكبوت - معلقة بذراع
رنخوة كذراع العروسة (اللعبة) التي يحملها بيده الأخرى .
وانحنى ساخراً ، ثم أردف :

- . . وسيداتى أيضاً . . يجب ألا تنسى السيدات !

كانت حركة سخيفة لكن ضج لها بالضحك رجل كان يجلس
على ركبتيه امرأة بدينة حمراء الشعر . وصسفتة على وجهه
وتظاهرت بأنها تجاهد لتتخلص من قبضته .

أشار نيرون الى المرأة - يستغل الموقف :

- هل ترون ؟ . ان للسيدات أيضاً خطاياهن التي سيحاسبن

عليها .. ومتى يحين الحساب ؟ .. آه ايها السادة من .. يوم
الحساب العسير ؟ . ترى ماذا سيكون الحكم الذى سيصدر على
السيدات ؟!

وفجأة اطفئت جميع الانوار على المسرح . وظهر شعاع واحد
بسلط على هيكل عروسة (لعبة) تجلس على مقعد صغير ..
وبجوارها شيطان يتوهج بضوء أحمر معتم .

اتسع شعاع الضوء .. حتى اضاء هيكلًا مختفيا تحت غلالة
فى طرف المسرح . كان الهيكل مغطى الرأس حافى القدمين . شرع
يتحرك الى الامام ، ويميل من جانب الى جانب ، ويتخلص ببطء
من الغلالة . ظهر أولا وجهها - وجه ريجينا ، ثم كتفاها وذراعاها
ويداها . وبدأ الشيطان والعروسة يرقصان ، على جانبيها ،
رقصة أخذت تزداد سرعة فى تلاحق محموم .. بينما كانت الغلالة
تنحسر شيئًا فشيئًا .

اغتبط أورلاك لوجوده فى الظلام ، حيث لا يستطيع أحد أن
يرى يديه تنقبضان وتنبسطان فى ارتعاد واهتزاز . كان الضوء
يلمع على عنقها العاجى الابيض . وكان هذا هو كل ما يستطيع أن
يفعل ليمنع نفسه من القفز بين الموائد المكتظة الى المسرح .. ويترك
يديه تفلان ما تريدان .

كانت الغلالة لا تزال تنحسر - وضجت عاصفة من الضحك
عندما صاح صوت :

- أسرعى يا فتاة .. لن نستطيع ان ننتظر طول الليل !
وفى الوقت الذى انحسرت فيه الغلالة تماما - كانت العروستان
ترقصان امامها . ثم اطفئ شعاع الضوء . وعندما عادت انوار
المسرح من جديد كان نيرون وريجينا يقفان معا ، قد التفا بعباءة
طويلة ..

قوبلا بتصفيق متناثر . ووجد أورلاك نفسه يشترك بتصفيق
شديد ، بكلتا يديه على سعتيها . انحنى نيرون وانسلت ريجينا
بين الستائر المسدلة فى نهاية المسرح . واخذ نيرون يقطع الوقت
ببعض حيله . يجعل العروسة تفكك نفسها عضوا عضوا ، وتعطى

كل عضو للشيطان ، الذى كان يلقي به فى جانب المسرح . . ثم انسحب .

وعادت ريجينا الى الظهور من احد جانبي المسرح ، تبسم للجمهور فى اثاره . وشرعت تؤدى رقصة (بالريش) ، وتذكر اورلاك انه شاهدها من قبل فى المقاهى البشعة التى كانت تقع بالقرب من مطار رابطة فيه وحدته خلال الحرب . كان الرقص العارى يثير اشمئزازه دائما. وبدأ جانبا عقله يتجادلان من جديد. اخذ يتطلع حوله فانتهى الى ان معظم هؤلاء الرجال ليسوا اصحاب حظ فى اجتذاب النساء بشخصياتهم . كانوا شيوخا ، كانوا مترهلين . . مخدوعين . . خلاصهم الوحيد فى حافظة مثقلة بالنقود . كان الرقص العارى وما يلحقه من صفقة تجارية فى غرفة النوم - اقرب ما يحقق لهم اطلاق طاقتهم العاطفية .

واطلق اورلاك ضحكة ، ضحكة مريرة لفتت نظر امرأة تجلس الى مائدة مجاورة فتحولت اليه فى قلق وانزعاج ، ياله من وضع عظيم يوجه منه انتقاداته ! انى له ان يجد فى غير هذا المكان ، عنفا كهذا العنف . . لا اهمية لها ! .

اشار اورلاك الى رجل كبير السن ، يرتدى سترة عشاء رسمية مجمدة ، بدا له منها انه رئيس السقاة . ثم شاهده يتبادل الایماءات مع ساقى البار . . الى ان اوما الاخير ايماءة حازمة قاطعة . وسرعان ما جاء اليه بمائدة اضافية عبروا بها الرءوس الجالسة الى الموائد . . ليضعوها بجوار حلبة الرقص . وما كاد يجلس حتى فتحت امامه زجاجة جديدة من الشمبانيا . . يا لسحر قوتها هذه الحافظة المفعمة بالنقود . يكفى ان يلوح بها المرء لتنهار الجبال وتظهر البحار الجديدة وتتخلى الجيوش عن المعارك . . و . . ترقص النساء !

ترقص النساء ؟

تذكر تثنيات ريجينا وحركاتها العذبة وهى فى الفللة . . وشدد قبضته على ساقى المقعد بقوة شديدة حتى خال خشبهما يتحطم . رقص مناسب . . افضل من هذه الاوضاع التى تلعب

أقيها بالريش .
كانت ريجينا الآن في صدر المسرح تقريبا . وكان شعاع الضوء
المسلط عليها قد تجاوزها ليتابع ريشة بيضاء ألقت بها بين
الكواليس ، وعندما عاد الشعاع اليها لم يكن قد بقي في يديها
بسوى حزمة واحدة من الريش .
وصاح صوت على يمين أورلاك :
- الق بها بعيدا !

فحانت من أورلاك نظرة الى اقرب الموائد اليه ، فاذا برجل
أصلع يجلس مطوقا بذراعه خصر فتاة ترتدى ثوبا شفافا من
النيلون . لكن عينيه كانتا مصوبتين الى ريجينا .
وعندما حول أورلاك بصره الى المسرح مزة أخرى شاهده
ريجينا . فتوقفت في وسط المسرح ووهبته ابتسامة طويلة مفرية .
ثم بدأت تقترب ، تحرك قدميها في كل مرة بضع بوصات قليلة الى
الامام . لكنها كانت تهز أردافها فيتساقط منها الريش امامها .
طار عقل أورلاك ، واخذ يرقبها وهو مسحور بينما كانت تهبط من
إخشية المسرح وتتحرك صوبه - وعيناها لا تفادران وجهه .

أخذت الموسيقى عندئذ تصخب . . وتنطلق سريعة لتصل الى
ذروة اللحن . وعند النغمة الأخيرة ألقت ريجينا بحزمة الريش في
حجر أورلاك .
شعر أورلاك بيد ثقيلة تهوى على كتفه . دار على عقبيه
مأخوذا ، ليجد الرجل الأصلع يغمز له بعينه .
- اهنتك يا صديقي . . لكن هل لك أن نتبادل ؟!

وأشار الى الفتاة ذات الثوب الأبيض من النيلون واستطرد :
- هذه صغيرة . . كفرخ من أفراخ الربيع ! . . سأقول لك
شيئا . آخذ أنا الراقصة وتأخذ أنت هذه ! . .
شعر أورلاك بميل شديد الى أن يسدد قبضته الى هذا
الوجه المستدير الشاحب ، الذي كان صاحبه لا يفتأ يبتسم .
لكنه جاهد ليقاوم هذا الشعور ، ونادى على الساقى :
- نعم يا سيدى .

أفوض أورلاك ورقة مالية بين متبائنه ووسطاه وقال :
- خدمة صغيرة . . .

فتطلع الرجل منهوما الى الورقة المالية وهتف :
- أي خدمة يطلبها السيد

- اذهب الى مدموازيل ريجينا . واخبرها . . أن مسيو
ستيفن يبعث اليها بتحياته وتهنئته ويرجوها ان تشرفه
بمشاركته مأدته .

فتوقف الرجل برهة كأنما يشك في شيء .
- مدموازيل ريجينا يا سيدى ؟ . . لست ادرى . . ان
مسيو نيرون موجود . . انه رجل حاد الطبع ! .
أضاف أورلاك ، وقد بدا نافذ الصبر ، ورقة أخرى الى تلك
التي في يده . فابتلع الساقى ريقه بصعوبة ، ثم مد يده وتناول
النقود .

- سأفعل يا سيدى . . وليساعدنى الله . . بمثل هذا القدر
من المال أقدم طائعا على خنق المسيو نيرون !
فلوى أورلاك شففيه أمام هذه الشراهة المريرة ، لكنه لم يعقب .
وصب لنفسه كأسا من الشمبانيا ثم أشعل سيجارة ، متجنباً ان
تلتقى نظره بنظرة الرجل الاصلع الرابض على يمينه ، الذى كان
لا يكف عن دفع فتاته الى دائرة بصر أورلاك كبائع متلف يعرض
بضاعته في سوق ماشية . وفجأة ، ومن باب خلف البار ، خرجت
ريجينا برداء براق - عليها مهابة الملكات - فشعر أورلاك بتقبض
في حلقه وأخذت يدها تهتران خلف المائدة برغبة وحشية في ان
يمزق الرداء عن كتفها . وصب لنفسه مزيداً من الشراب في
الكأس بأصابع مرتعدة . ثم وقف . وسقط المقعد من ورائه . .
فخف على الفور احد السقاة واعاده الى مكانه ، ثم تقدم وأعد
مقعداً آخر لريجينا . وعندما اقتربت منه خلعت عنها مهابتها
الملكية واستبدلت بها ابتسامة اغراء . وبسطت له يدها ليقبلها
ثم جلست .

- لقد كان حضورك عظفا منك . . هل اعجبك العرض ؟

لصمت أورلاك حتى ملأ الساقى كأسيهما وأبتعد . ثم مال
على المائدة وقال :

- العرض ؟ . لقد أعجبني كثيرا . . ما رأيته منه .

فلوحت أمام عينيه باصبع لائمه :

- والآن . . يا مسيو ستيفن . . لاشك أنك رأيت الكثير من

مكانك القريب هذا !

فوضع يده على يدها ومس ذقنها بيد أخرى . وجعل يربت
عليها برفق وهو يقول :

- لقد أعجبني ما رأيت . . كثيرا جدا .

فسحبت ذقنها ، حتى لا تكون في متناولها ، ثم تطلعت إليه

باستغراب .

- لكن لا يبدو عليك أنك استمتعت بشيء !

فحاول بسرعة أن يرسم على وجهه ابتسامة . لكن صوته

خرج مكتوما . وأدرك وهو يتحدث أنه لم يتناول طعاما بالمرّة خلال

الساعات الأربع والعشرين الأخيرة . . لم يتناول سوى نصف

زجاجة من الويسكى أعقبها نصف زجاجة من الشمبانيا مندا

استيقظ من نومه . فقال في ثاقل :

- الجو هنا حار . . كل هؤلاء الناس من حولنا . . إلا

نستطيع أن نذهب الى مكان آخر ؟

فاقتربت ريجينا منه مرة أخرى وقالت :

- أود ذلك بالطبع .

- حسنا . . سأطلب الحساب .

كوح للساقى ، لكنها أمسكت يده :

- لقد قلت . اننى أود ذلك ، لكننى لا أستطيع . ليس قبل

الساعة الثانية . يجب أن أبقي لأرفه عن الزبائن . ان هذه مهنتى

التي أتلقى عنها أجرى .

فأخرج أورلاك حافظته من جديده وقال :

- ربما اذا تحدثت الى المدير . .

فأسرعت تقول :

- كلا .. بربك لا تفعل . لو سمع ثيرون بذلك لسلخ جلدى
وأنا حية !

وجد أورلاك الساقى بقربه ينتظر باحترام وفاتورة الحساب
فى يده . فلوح له ليصرفه . لكن ريجينا اشارت تستبقيه . ثم
مالت اليه وربتت على تحده بأطراف أصابعها وهمست :

- كن صبورا يا حبيبى .. أعرف أنك تود أن أصحبك الآن
لكننى لا أستطيع .. بسبب ثيرون ، وبسبب عملى .. عد أنت
الآن الى الفندق .

فرفع أورلاك حاجبيه دهشا ، بينما استطردت :

- لا تنزعج .. لكن وجودك هنا لن يسرك . سأضطر الى
التحرك .. والجلوس الى الموائد الأخرى ، لأحمل هؤلاء الأوباش
على طلب المزيد من الشراب .

قالت ذلك وأشارت نحوهم بيد محتقرة ، ثم استطردت :

- ان هذا سيستمر الى الساعة الثانية ، لكننى سأنسل
عندك متى استطعت الافلات من هنا .. لآتناول معك بعض
الشراب .

وكورت شفيتها فى شكل قبلة ثم اردفت :

- ما رأيك ..

فأوما لها برأسه موافقا وقلبه يصخب :

- جميل .. لكن لا تتأخرى .. اننى رجل قليل الضيق
بطبيعتى .

فوقفت ريجينا . ودفع أورلاك الحساب وهى تغمز له وتضبط
اكتفه برفق ، ثم تحركت الى مائدة أخرى ، تحيى بحماس جمامة
من العملاء الذين اعتادوا ارتياد هذا الملهى .

صدم الهواء الرطب فى الخارج وجهه كقبضة اليد . وقف
قليلا يترنح مدركا أنه تعاطى من الشراب أكثر مما تعاطى فى أية
مرة خلت لسنين طويلة الى الوراء . وبدأ له أن تغير الجو ، من
الحرارة والضوضاء والدخان فى الملهى ، الى ما هو فيه الآن قد

انح للتعلّق فرصة ، كان عقله يقول له بحماس وحزم: انج بنفسك .
انج بحياتك . . لكن ساقيه كانتا تترنحان على الطوار . فجعل
بينه وبين الجدار طول ذراع ، ليتمكن من أن يستند عليه اذا
ما بدأت ساقاه تتخلخلان من تحته .

كان الطعام دائما هو الجواب على مشكلته هذه . . عندما كان
يعمل طيارا في بريطانيا عاد الى قاعدته اثر ليلة حافلة في لندن .
كان يدرك ان نداء استدعائه للعمل قد يجيء في أية لحظة متى
بزغ الفجر . فملا معدته بطعام كثير . . بكل ما وقعت عليه يده .
وعندما حان الوقت كان قد افاق تماما على نحو كفل له قيادة
طائرته واسقاط طائرة المانية .

كل ما يحتاج اليه الآن هو وجبة كبيرة تمتص كل الكحول الذي
اغرق به معدته . لكن نفس هذه المعدة ارتدت وتقلصت لدى فكرة
الطعام ، فظل يسير متجاوزا نوافذ المحال التي يتصاعد منها
البخار . . . لا يقدر ان يتطلع الى الفطائر الساخنة . . والدجاج
. . وقوائم الطعام التي كتبت بالطباشير على منبورات معلقة .

استفرقه العثور على فندقه بعض الوقت . كان ثمة فنادق
أخرى تشبهه . وكان اسم اليبرتي قد ضاع من ذهنه . لكنه
عرف الفندق أخيرا بسيارته التي كانت تقف بالقرب منه ، بجوار
مصباح من مصابيح الطريق .

صعد الدرج وفتح باب الدخول . ثم توقف . وجعل يحدّق
في شخصين أمامه . كان أحدهما نيرون . . وكان الآخر يرتدي
معطفا وينحني على سجل الفندق . . كانت لويز تهتف في عجب !
— انه خط يده . لقد كتب من . ستيفن . . لكن هذا يعني
ستيفن اورلاك !

وشاهد اورلاك ملامح فهم تشرق على وجه نيرون . . واذا به
يبتسم ابتسامة فوز لم تشهدا لويز . . ويقول :
— هذا هو السيد الذي ينزل في الغرفة رقم ١٣ . . هل لي
ان ادلك على غرفته ؟
فقال اورلاك في اعياء :

— كلا بالطبع ..

ثم تقدم من جانب الباب وتجاهل صيحة دهشة أطلقتها لويز
— وتناول ذراعها ومضى بها الى الدرج .
— ساريك الطريق بنفسى .

واخذت تنظر من فوق كتفه وهما يصعدان .. حتى تبين أن
يرون قد اختفى ، فتحول اليها وطوقها بذراعيه ، وهى تبسط
أيضا ذراعيها نحوه .
— لويز !

— ستيفن .. أوه .. لشد ما كنت قلقة !
تملكته عاطفة رقيقة عاقلة . استطاعت ذكريات العام الذى
عرفها فيه أن تكتسح من كيانه الخوف .. وتلك البهجة البشعة
التي كان قد بدأ يستشعرها خلال ساعاته الماضية . لكن ذلك لم
يملك سوى لحظات . فسرمان ما خلص نفسه من ذراعيها ببطء
لكن بعزم — ثم تحول عنها واغلق الباب . وقال يبرود :
— كيف أمكنك العثور علي ؟!

— السيارة يا حبيبى .. لقد عثر عليها البوليس .
فتدخل باقتضاب .
— البوليس ؟

— اننى آسفة .. سامحنى يا ستيفن . لكننى كنت فى أشد
القلق . طلبت منهم أن يقوموا ببعض التحريات .. كنت اظن أن
حادثنا لم يك . لقد كنت تقود السيارة وأنت كالمحموم .. كان
من المحتمل ان تقع حادثة .
فانبرى يقول فى اكتئاب ظاهر :
— اننى فى احسن صحة كما ترين !
راى عينى لويز تطرفان ، وهى تتفحصه فى عجب .

— واذا كنت فى احسن صحة يا حبيبى .. فلماذا تأتى الى
هذا المكان البشع ؟

كانت تنقل بصرها فى أرجاء الحجرة ففعل مثلها . اكانت
الحجرة يبدو كتلك الحجرات التى تؤجر بالساعة أكثر منها

باليوم .. سرير متداع .. سجادة بالية .. أثناء متصدع وصنبور
مكسور .. والعناكب قد نشرت خيوطها في السقف المغير .
نظر الى نفسه بمرارة في المرآة الملوثة .
- انها تناسبني يا لويز .. أرجوك . لا تسأليني ايضاحا ..
لكنها تناسب ما صرت اليه !

وبينما كان يتحدث سمع صوتا في شرفة الحجرة وراى نظرات
لويز تتحول نحوها بحدة . ثم تساءلت :
- ما هذا ؟ . الا يمكن ان يكون ثمة لصوص في هذا المكان ؟
- الأرجح انها قطط .

فتح باب الشرفة وتقدم . وخال انه رأى شيئا ذاب في
ظلمات شرفة أخرى .

وقالت لويز وهي تحاذي كتفه :
فهز كتفيه في غير اكتراث
- هل هي قطط ؟

- ان الرؤية متعذرة في هذا الظلام .. لا عليك .. ليس لدى
ما يمكن سرقة .

- ستيفن '

- نعم ..

- تعال هنا في الداخل .

فأغلق باب الشرفة على مضض ، وتطلع اليها في تساؤل .
لكنها كانت تستند الى حافة الفراش وتحدث ببطء وقد
خفضت رأسها :

- يجب أن نتحدث ..

- أعلم ذلك .. لكنه امر بالغ الصعوبة - انه يبدو كالصياح
عبر المحيط .. لا فائدة منه .

مدت يدها نحوه تهتف باسمه في رثاء ، ثم سحبت يدها في
حزن على ما يبدو عندما تجنب ملاقاتها .

- فلنحاول على الأقل .. الاصوات يمكن ان تقطع مسافة
بعيدة ، اذا كان المحيط هادئا .. لماذا هربت يا ستيفن ؟

دهم اورلاك شعور غريب . كان الدم قد هرب منه . كانه
صفى تماما . وعاد هو خفيفا هشا يسبح في ارجاء الحجرة . .
لكنه وهو في شبه غيبوبته تلك ، وجد ان اجابته صادقة تماما ؛

— لكننى لم اهرب منك يا لويز . لقد كنت افر من نفسي . .
ويبدو ان هذا لم يفدنى كثيرا . .
بسطت لويز يدها من جديد .

— اذن عد الآن ! لقد كنت يا حبيبى لا تكف عن القول بانك فى
حاجة الى . الم تكن تعنى ما تقول ؟
لم ينبس بكلمة . ثم اوما موافقا عندما رفعت اليه عينيها
وشاهد في وجهها معالم التعاسة واللوم .

— اذا كنت قد احتجت الى من قبل . . فانت تحتاج الى الآن
بالتاكيد . اعلم ان السبب هو الحادث . انك لا تزال تفكر فيه .
امسكت بيده وقبضت عليها باحكام لتؤكد كل كلمة .

— الا تدرك اننى افهم موقفك يا حبيبى . اريد ان اساعدك
على نسيان الحادث .
شعر اورلاك بطبقة من العرق تتكثف على جبهته .

— ليس الامر بهذه السهولة يا لويز . . المسألة ليست متعلقة
بالحادث فقط . . بل بما اعقبه .

تطلعت اليه متسائلة :

— ما الذى اعقبه ؟

— بعد الحادث بساعات قلائل . . عند الفجر . . اهدموا رجلا
بالمقصلة !

— اعلم ذلك . انه قاسير

— كنت تعلمين ؟ !

زادت معالم الحيرة في وجهها .

— اجل . . بالطبع . . كل الصحف نشرت ذلك .
فقاطعها بعنف

— اذن لماذا ذهيت بى عند فولشيف ؟ !

فراجعت في انزعاج .. بنقش تعبير الخوف الذي لاح على
وجهها في الليلة الماضية - وكورت سؤاله دون وعي
- لماذا ؟ !

فأهوى على المائدة بقبضة يده . لكنه لم يلحظ في ثورته ألمه من
جراح ذلك .
- نعم .. لماذا .. لماذا ؟
اتسعت حدقتها .

- كان .. يبدو انه الرجل المناسب لذلك .. متيقن .. لماذا
تنظر الى هكذا .. لقد .. ذهبت بك الى فولشيف لشهرته . اعني
.. انه عبقري . الكل يجمعون على ذلك . لقد قام بعمل كبير ..
فيما يتعلق بصواريخ الفضاء .. وفعل الاعاجيب بزراعة الاعضاء
واستبدالها و ..

ماتت الكلمات على شفيتها واشرق في وجهها الفهم مصحوباً
بذعر بالغ .

بسط أورلاك نحوها ذراعيه . وقال مكملًا :

- و .. والأيدى ؟

فشهقت مرتعدة .

- كلا .. كلا .. لاتعتقد يا حبيبي ان .. ليس هذا ممكناً ..
انه خيالك . انه تسلط فظيع ذلك الذي ينتابك . يجب ان تكافحه .
تحرك صوبها فالتصقت بالجدار .

- هل تعتقد انني لم أحاول ؟ انظري الى هاتين اليدين !

ودفع بهما الى بضع بوصات من وجهها - وتندوب الجراحة
تلوح في رسفيه .

- ليست هاتان يدي ! انهما يدان غريبتان لهما افكارهما
وارادتهما الخاصة .. انني لا املك السيطرة عليهما . انهما يدان
شريرتان - قاسيتان - مجرمتان !

واذ هو يتحدث شاهد اصابعه تلتوى كالخطاف ، وتعلو الى
عنقها . فجاهد في معركة اليمة مضنية جعلت ذراعيه ترتعدان من
الرسغ الى الكتف .. حتى استطاع قسرهما على النزول الى جنبيه
ثم همس في صوت منخفض متوتر .

— يحسن بك أن تذهبي يا لويز .
— كلا . .

أطلقت صيححتها بفزع ، لكن العزم كان يملؤها .
— كلا يا ستيفن . . لست أخشاك !

قصاح بدوره في ألم .
— اذهبي . . اننى آمرك . . اذهبي !
حدقت في يديه . . وهى تهتران وتختلجان الى جنبه — وهن ،
لايستطيع السيطرة عليهما . .

— حسنا . . سأذهب اذا كنت تريدنى أن أذهب . لعل من
الأفضل لك أن تبقى وحدك لفترة لتستطيع أن تتخلص من هذا
الخيال . لكن متى احتجت الى . .
وتوقفت ، ثم أرغمت نفسها على مس المخالب المرتعدة . .
وتناولتها برفق في راحتيها ، واستطردت :

— . . وستحتاج الى حتما أيها العزيز . . متى احتجت الى
فلا تتردد . . انت تعلم أين تعثر على . أغلق عينيه . . كأنه لا يشق
بنفسه . . الى أن سمع الباب يفلق وراءها . فتقدم ويداه مشرعتان
إمامه ، وعبر الفرفة الى النافذة . ووقف يتطلع الى الطريق .

— ٧ —

كان أول اثر لمسه في نفسه بعد خروج لويز صدمة الوحدة .
لو كانت المسافة بين حجرته وبين الشارع كبيرة لاستطاع أن يعالج
هذه الوحدة بالقفز من النافذة ! لكن عزمه على الانتحار سرعان
ماولى . وبقي بدله شوق مجنون الى لويز . . ربما يقول . .

غادر مكانه بجوار النافذة — لا يعرف بالضبط أين يتجه . لم
يعد التطلع من النافذة وسيلة الى الهرب . كانت مغلقة مثل نافذة
سجن قد اعترضتها قضبان . توقف مرة اخرى امام المراة وتطلع
الى صورته باشمئزاز . لم يعد يرى نفسه وحشا — بل مجرد رجل
أبلى قياده لجسمه بدلا من عقله . كانت ملابسه المجددة متربة من
الجدران التى كان يصطدم بها وهو فى سيره يترنح عائدا من ملهى

القرد الأزرق . وكان ثمة نثار من زماد السجائر على سترته من
الأمام ، فنفضه بيده ممتعضا ، ثم فحص هذه اليد - وكذلك وجهه
في المرآة - مدركا أنه بهذا العمل الفريزي البسيط انما يخطو خطوة
عائدا الى طبيعته . واستل من جيبه مشطا أخذ يسوى به العقد
في شعره المهوش . . حتى بدا أخيرا في مظهره الطبيعي - خلا تلك
النظرة التي لاحت في عينيه - وبدا منها كأنسان مطارد .

وما لبث أن وقع بصره على زجاجة الشراب نصف الممتلئة .
كأن عقله الآن يتحكم فيه . فانتزع سداداتها - ومضى الى اناء
لفسيل الأيدي بالقرب منه . لكنه أدرك على الفور أنه ليس له
بالوعة ، وإن اشتهاه الشراب سيعاوده بمجرد أن ينحسر عنه هذا
التعقل . ففتح النافذة وأفرغ الزجاجة في الطريق - مفضلا ذلك
على المخاطرة بلمق الشراب من الاناء كالقط لو صبه فيه . ثم ألقي
بالزجاجة في سلة المهملات . وعندئذ - سمع طرقا خفيفا على
الباب . ثم بدا المقبض يدور . فقفز اليه مفتبطا بأن لويز قد عادت ؟
وأنها ستراه وقد ارتد اليه عقله - مستعدا لأن يجمع خيوط
حياته من حيث خلقها .

- لويز !

لكنه توقف فجأة . كل عصب فيه تشعب بصدمة مرأى ريجينا
بدلا من لويز . انسلت الى الغرفة وهي تبتسم على استحياء .
أصبغها على فمها تطلب اليه أن يبقى هادئا . ثم أغلقت الباب
وهمست :

- هاندا . . أخيرا . . هل يثست من حضوري ؟

نظر اليها دون أن يحاول اخفاء مااعتراه من صدمة وخيبة أمل
مريرة .

- يثست من حضورك ؟ . . لقد نسيت كل شيء عنك !

فاتسعت عيناها . . وولى حذرها . . وقالت في شبه صيحة :
- نسيت ماذا ؟ !

اعتذر لها بعد أن أتيحت له لحظة استرد فيها رباطة جأشه .
وقال بصدق :

— معذرة اذا كنت قد أسأت اليك . لكن . . مشروعاتي تغيرت
.. اننى سأرحل التو واللحظة .

— انت سترحل . . .

ولم تستطع اكمال عبارتها اذ فتحت فمها من الدهشة — ثم
استطردت .

— ماذا دهالك . . منذ ساعتين كنت تريدنى . . والآن . . الآن
قد تغيرت تماما !

— هل تغيرت ؟ . . آمل أن يكون ذلك الى احسن !
كان النقاش قاسيا ، ولم يكن فى المستطاع تخفيف حدته باطالته
.. فتحرك صوب الباب وقال :
— وداعا يا ريجينا . . واشكرك .

أعد نفسه لسيل لعنات تفرمه . لكنه لم يكن مستعدا لنظرة
الخوف التى لاحت منها نحو النافذة لغير سبب ظاهر . وعندما
تحولت أمسكت بيده التى كانت على مقبض الباب وقالت وهى
تنتحب والدموع تملأ مآقيها .

— كنت اعتقد اننى أعجبك !

— لكننى فعلا معجب بك يا ريجينا . . معجب بك كثيرا . .
وتوقف مترددا . كان حزنها يبدو صادقا حتى انه تساءل فى
ذهنه عما اذا كان قد أساء الحكم عليها . . عما اذا كانت أكثر من
مجرد فتاة رخيصة . . فطوق بذراعه كتفها وقال
— لا تبكى بحق السماء . اننى آسف . .

وأخرج لها منديل .

— جففى دموعك .

فأنشجت واهتزت . ودفنت وجهها فى صدره . وجعلت ذراعها
بحول عنقه وزراعها الاخرى داخل سترته .

— هل انت مضطر الى الذهاب الآن . . الا تستطيع أن تنتظر
اقترة وجيزة . . أرجوك أن تفعل . . فترة وجيزة تقضيها معى .

بدا أورلاك ، بلطف لكن بعزم ، يخلص نفسه من ذراعيها . .
عندما فتح الباب وأغلق بسرعة . ووقف نيرون وظهره اليه يتسهم
— لكن على نحو لايسر .

— طاب مساؤكما .. أو هل يجب أن أقول طاب صباحكما !
قال ذلك واتسعت ابتسامته الشريرة حتى شقت وجهه الطويل
الضيق نصفين .

— آمل ألا أكون قد جئت قبل الأوان !
أطلقت ريجينا صيحة فزع وشددت ذراعيها حوله وهي
تخفي وجهها في قميصه . وأخذت تصيح بصوت مكتوم .
— انه نيرون .. سيقتلني .. سيقتلنا معا !
تدخل الرجل وقال بهدوء .

— حسنا ياريجينا .. تستطيعين أن تذهبي أنت . لا يهم الآن
أن كنت قد حضرت مبكرا .. سنبحث أمرك بالطبع — لكن ثمة
أشياء أخرى أيضا أهم منك بكثير .

لم تتحرك ريجينا . بل أخذت تبكي في رعب .
— كفى !

أطلق نيرون كلمته هذه المرة كفرقة السوط .
— اخرجي ! . واخرجي من هنا !

تصلبت بين ذراعي أورلاك ، ثم انسحبت وهي تنظر إليه
بمتوسلة . لكن أورلاك لم يلحظها وهي تفتح الباب وتغلقه وراءها .
قطب جبينه وقال في تحد :
— حسنا ؟ ..

فأخذ الرجل يفرك يديه ، ثم عبر الفرفة والتقط زجاجة
الشراب من سلة المهملات وتفحصها . وضعها على أذنه وهزها .
ثم وضعها في مكانها من جديد بهزة أسف من كتفيه ، وقال :
— يا للخسارة .. أن النقاش يكون مدعاة للسرور أكثر لو
كانت بين يدي المرء كأس .

كان أورلاك قد استطاع أن يتغلب على الهزة التي اعترته
بدخول الرجل غرفته ، في تلك اللحظات التي كان يتحسس خلالها
الزجاجة . فقال بنفس نبرة التحدي
— لو كنت تظن أن في مقدورك تهديدي لتبتز أموالى فأنت
بنخطي، أبلغ الخطأ .

طوح نيرون بيديه — وبدأت ابتسامته تختفي .

- تهديد .. بإلها من كلمة يلقيها فنان في وجه فنان آخر
يا مسيو أورلاك !

- إذن فأنت تعرفني .
أخذ نيرون يمضي في أرجاء الغرفة بساقيه النحيلتين الطويلتين
أكسيقان المنكبوت .

- بالطبع .. اننى أعرف كل شيء عنك كان اهتمامى الاول
بك بسيطا .. مسألة .. فلنقل علاقاتك العظيمة مع ريجينا ..
لكن الآن .

وبسط يدين برزت عظامهما :
- الآن .. كل شيء قد تعقد .. كل شيء أصبح .. أكثر أهمية
لم ينبس أورلاك بحرف ، واستطرد نيرون .

- حادثتك المؤسفة .. أوه .. لكم بكيت ذاك النهار عندما
شاع أنك قد لا تستطيع العزف مرة أخرى !
- أشكرك .. لكن .. دعنا من كل هذا . وأدخل في الموضوع ،
تجاهل نيرون مقاطعته .. ومضى يتحدث :

- لكن من حسن الحظ أنك كنت بين أحسن يدين .. يدي
ألبروفيسور فولشيف .. اننى أعرف يا سيدى كل شيء تجدد
معرفته .

ثم أشار الى النافذة .
- ان من العسير أن يقفز المرء من شرفة الى أخرى . لكن
الامر يستحق اذا كان ثمة اصوات ترتفع في جدال تتكشف من
إخلاله أشياء لا تخطئها الأذن .

فانفجر أورلاك .
- إذن .. فقد كنت انت !

- هل سمعتنى .. آه .. نعم .. اننى اذكر ذلك .. لقد
جئت الى الشرفة .. مع المدموازيل .. فتاة جميلة .. إنه
لامر محزن !

- دع خطيبتى ولا تقحمها في هذا الحديث !
- خطيبتك ! ..

كان نيرون على وشك أن يبدأ من جديد متناولا لويژ . . لكنه
مالبث أن استقر على ضرورة تجنب أى استفزاز - فعاد يقول :

- بخصوص البروفسور فولشيف . . انه جراح قدير . .
ثم تطلع الى أورلاك .

- لقد كان من مرضاه أحد معارفى . .

عاد الخوف يملك أورلاك . حتى هذه اللحظة كان يشعر
ببرود وتعقل . . ينفذ خطة متعمدة ليعرف بالضبط مقدار
معلومات نيرون قبل أن يتخذ أى إجراء . لكنه الآن بدأ يشعر
بروح التعقل تفارقه من جديد .
هز نيرون رأسه فى أسى :

- مسكين لوى . . مسكين فاسير !

- فاسير !

اندفع أورلاك نحوه وامسك به من سترته - لكنه سمر فى
مكانه عندما لاحت فى عينى الرجل النحيل نظرة تحديق مثبتة
عليه . فخلى عنه ذراعيه .

- هل تسمح أن تؤدى لى معروفا يامسيو أورلاك .

فقال أورلاك فى نبرة خشنة .

- ماذا ؟

فترجع نيرون قليلا ، ثم رفع ذراعه المعروقة :

- اسمح لى . . تكريما لذكرى صديقى المسكين فاسير . . إن
أصافح يديه !

وان على الغرفة صمت قاتل . . لم يكن ثمة صوت خلا أنفاس
أورلاك وهو يحرق فى أعماق تلك العينين اللتين كانتا فى قوة عيون
المنومين . أخذ عقله يجاهد للسيطرة ، يكافح وحبات العرق
تجرى على وجهه من أجل أن يتجاهل تلك القوة التى سمرته
فى مكانه .

ثم رأى - لفزعة - يده اليمنى ترتفع من تلقاء نفسها لتلتقى
بين نيرون . لكن . . قبل أن يحدث الالتقاء . . ارتفعت منه صيحة

هستيرية .. واختطف يده وكورها في قبضة محكمة وأهوى بها
على فك نيرون .

تنفس الصعداء وهو يلمح العينين القاهرتين تلمعان ، ثم
تميل الرأس على جانب . ويتراجع نيرون وقد اختلت حركة يديه
وساقيه .. كساقى دجاجة اعتصر عنقها .

عنقها ؟ !

تطلع أورلاك الى يدي فاسير .. وهما ينبسطان وينقبضان ..
تعتريهما الرغبة في الانتقضاخ على عنق الجسم الممدد على الأرض .
ثم اغمض عينيه وتلمس طريقه الى الباب . كان عندئذ يحاول
الهرب من الغرفة عندما اصطدم فجأة بريجينا - عند عتبها .

- ماذا حدث ؟

- تعالى شاهدي بنفسك !

صاح بعبارته ، ثم اردف وهي تلقى نظرة في الداخل .

- لا تقلقى .. انه لايزال حيا . كنت سأقتله .. لكننى لم

أفعل !

انتابتها رجفة ، ثم تحولت صوبه بوجه ممتقع .

- كنت أتمنى ان تفعل ! .. آه يا سيدى لو كنت فعلت ..

اذن لتغير كل شيء بالنسبة لى .. ولاستطعت ان أبقي معك !

صوب نحوها نظرة دهشة ، ثم هرول بجوارها .. عبر الدرج .

وأخذ يصيح .

- مدام اليرتى .. مدام اليرتى !

فبرزت المرأة البدينة على الباب الذى يقع في مؤخرة المكتب

وتطلعت بغضب صوب الدرج .

- من الذى يصيح هكذا بكل هذه الضجة ؟

ثم غيرت لهجتها بسرعة عندما لمحته .

- آه .. انت يا مسيو ستيفن .. معذرة .. كنت اظن ..

- لا عليك !

اخرج حافظته وقال وهو ينتزع منها ورقتين !

— انتى راحل . الآن على الفور . . هل يكفى هذا . . والويسكى
ايضا . . اذن طاب مساؤك ! !

وعدا عبر الطريق الى سيارته ، وقفز الى داخلها . ثم ادار
المحرك . رفع قدمه بفتة عن ضابط السرعة عندما تذكر ان وقوده
اقد نفذ . . وانه لابد من ان يسير برفق الى ان يعثر على جراج .

سار على قدر خمسة وعشرين كيلو مترا فى الساعة . . فى حين
اخذ يتطلع عبر لافتات النيون فى جانبى الطريق الذى كان يمتد
طويلا بغير نهاية . . وكان لايفتا يتساءل . . ماذا دها اهل مارسيليا
هؤلاء . . هل يستخدمون الهواء وقودا لسياراتهم ؟ او هل ياترى
يسيرونها ببدالات كالدرجات ؟ !

انبعث من محرك السيارة صوت ينبىء بقرب توقفها . تطلع
الى ساعته فالفها الرابعة الا عشر دقائق . لا عجب ان لم يجد
اثرا لسيارة عابرة . ولعلها تكون معجزة اذا وجد الآن احدى
محطات البنزين مفتوحة .

وعلى حافة منحدر خفيف توقف المحرك تماما ، فسب ولعن
. . ثم ترك السيارة تنحدر من تلقاء نفسها فيما بدا له ظلاما دامسا .

ومن بعيد ، لمح ضوءا خافتا ، فجعل يميل على عجلة القيادة
كأنما بذلك يدفع السيارة الى المسير لأطول وقت ممكن . لكنه كان
يدرك ان عجلاتها قد شرعت تبطىء — كذلك كان اقتراب الضوء
بطيئا حتى ليوشك ان يستغرق دهرا بأكمله .

واخيرا . وجدها لدهشته لافتة تنبىء بوجود محطة لسيارات
الاجرة . — تفعل طول الليل . فتوقف على بعد أمتار من الفناء ومن
ذلك البناء الحجري الصغير الذى جلس فيه عدد من السائقين حول
مائدة يحتسون القهوة .

تقدم من البناء — واطل براسه داخله .

توقف السائقون عن الحديث . ووضع أحدهم بعض أوراق
اللعب امامه مقلوبة ، ونهض قائلا :

— اين تريد الذهاب ايها السيد ؟

— لست في حاجة الى سيارة اجرة .. لكنني في حاجة الى
بترول . لقد نفذ وقود سيارتي .
فتفحصه الرجل من رأسه الى قدميه ، وبصق في ركن ، ثم
قال ضاحكا .

— لقد حضرت الينا اذن من أجل الوقود .. تطلب الينا في
منتصف الليل ان نعطيك بترولا حتى تستطيع ان تسير بسيارتك
وتضع على سيارتنا فرص العمل ؟ !

وبصق من جديد ثم اردف :
— لو كانت لدينا حكومة مخصصة ، لكنت قد سنت قانونا
يمنع جميع السيارات الخاصة من المسير .. لانها تسرق ..
فتدخل سائق آخر وانتهره :
— اسكت يا انطون ..
ثم تحول الى اورلاك وقال في شبه اعتذار :

— ان انطون من الفوضويين ايها السيد .. لاتلق اليه بالا ..
اكان بودنا ان نساعدك .. لكن .. ليس لدينا وقود .. لن يكون
لدينا قبل الصباح . كل ما عندنا في خزانات سيارتنا .
— ساضاعف لكم السعر .. بل واكثر من ذلك .. لو نقلتم
لسيارتي بعض ما عندكم .
كان العرض مغريا .. حتى انطون بدا له الامر كذلك . لكن
سائقا ثالثا تدخل ..

— من المحقق انني رايتك من قبل ايها السيد .. في مكان ما
.. على خشبة المسرح .. او عند ابن عمي في التلفزيون ..
اليس كذلك ..
وسرعان ما فارقتة لمحة التساؤل — وبدا متيقنا ، ف ضرب
بقبضته راحة يده وهتف .

— انت ستيفن اورلاك : عازف البيانو .. اليس كذلك ؟
فاوما اورلاك وقال :

— ستيفن اورلاك .. عازف البيانو البارد بغير وقود !

قدفع أحد السائقين نحوه قدحا من القهوة التي يتصاعده
بتخارها وقال :

— بارد ؟ .. نستطيع أن نساعدك في ذلك بشيء من حرارة
القهوة .. أما فيما يتعلق بالبتروول .. ف ..

مارايك يا أنطون ؟

فأسهم الفوضوى هنيهة وجعل يتنقل ببصره من وجهه الى
آخر حتى اكمل حلقة الوجوه حول المائدة ، ثم وضع (لفاعة)
حول عنقه وقال :

— أوافق من اجل عازف بيانو .. ومن اجل ستيفن اورلاك انا
مستعد لحرق مبادئى !

ثم أودف :

— فليات احدكم بخرطوم المطاط .. تنبدا بتخزان سيارتى
.. أين سيارتك يا سيدى !

واشتركا معا في دفع السيارة الى الفناء ، في حين كان السائقون
منهمكين في تثبيت خرطوم المطاط بالخزان .

شكرهم اورلاك بحرارة . وأخرج لهم حفنة من الاوراق المالية
— اليكم .. هذه ثلاثة اضعاف القيمة .. لانكم تستحقونها .

فأخذ منها أنطون ثمن البتروول ورد له الباقي قائلا :

— من ذا أشار الى مثل هذه الأسعار الخيالية ؟ !

— لكن ..

— خذ نقودك أيها الرجل .. والاخذنا بترولنا من جديد !

فتبسم اورلاك .. وركب سيارته ، وعاد أدراجه في الطريق
الذى جاء منه .. وما كاد يخلف وراءه شوارع مارسيليا ، حتى
يشعر بمعنوياته ترتفع . اللعنة على نيرون ! ليذهب الى الجحيم !
والى الجحيم ريجينا ايضا . لكنه مالبث أن عقد ما بين حاجبيه .
لا .. أن ريجينا ضحية مثله !

كان سلطان نيرون قد زايله . كان للظلام والخوف قوتها ظالما
أنه لم يكن يعرف الحقائق . لكنه عرف الحقيقة الآن — ومهما كانت

هذه الحقيقة فهو يستطيع أن يواجهها ويكافحها . تطلع الى يديه
القابضتين على عجلة القيادة ، وصاح فيهما :
- حسنا ! كنتما يدي فاسير . . لكنكما يداي الآن ! لقد ولت
أيامكما في خنق الناس !

ضحك منهما ثم صاح من جديد وهو يضحك .

- ستشقان الآن طريقكما في كل معزوفة أعرفها ! . . ستعجبان
بهذا العمل الجديد . . سأروضكما ، كما يفعل المروض مع
الأسود في السيرك !

كان ضوء النهار قد بزغ . وبدأت الحركة تدب في الطرق .
ربات البيوت ظهرن على الأبواب . والأولاد على دراجاتهم بحزم
الصحف . دار بالسيارة من طريق الكورنيش الى الشارع الجانبى
الذى يؤدى الى الفيلا . ثم تذكر ان الوقت لايزال مبكرا . . فسار
بنخفة الى الباب .

وقف يتطلع الى الحديقة . قلمح أنجى يخرج الى الشرفة
يحمل سلة يمض بها صوب زراعة الخضروات وأحواض الفراولة .

دلف الى الداخل دون أن يشاهده أحد . كانت حجرة الصالون
تبدو كما فادرها . لكنه الآن كان يتطلع اليها بنظرة مختلفة ، قد
زايها الخوف والغموض اللذين كانا يطاردانه من قبل . مال على
البيانو الذى كان لايزال مفتوحا . . منذ عزف عليه أرضاء للويز . .
منذ ليلتين .

ليلتان فحسب ؟ . لو كان الوقت يمر طبقا لاحتاساته -
لكانت هذه النوتة الموسيقية قد اصفرت بفعل الدهر الطويل الذى
مر عليه . ولكانت مفاتيح البيانو قد اختفت تحت طبقات
من الغبار .

جلس ومس أصابع البيانو برفق . ترك الإنغام تتحول الى
لحن تلقائى . . مجرد نفمتين تنطقان باسم لويز .
ثم أدرك فجأة أنه لم يعد وحده . حول وجهه وأصابعه لا تزال
تعزف اسمها ، فوجدتها واقفة فى باب حجرة نومها - يداها
ميسوطتان نحوه - ودموع السعادة تجرى على خديها . -

- انه لشرف عظيم يا منسيو اورلاك ١٠
تطلع اورلاك الى وجه العمدة - وتحقق من انه صادق في
تحيته . كان الرجل القصير يبدو مزهوا بالدور الذي يقوم به -
يكاد ينفجر بحرصا على اتمام الحفل ١٠
اخذ اورلاك يعث في جيوبه بحثا عن الخاتم . واوشك ان
يعتقد انه ارتكب الخطأ المألوف . وهو نسيان خاتم الزواج في
مسترة اخرى .

كان تائها عن الكلمات التي تتردد ، لكنه استطاع في اللحظة
المناسبة ان يلمح اشارة العمدة - فوضع الخاتم في اصبع لويز ١٠
- السجل يا سيدى . . هذا التوقيع الاخير وينتهى كل شيء
- اشكرك يا سيدى . . والآن يا منسيو اورلاك . . هل تسمح بان
أزجى تحيتى الى السيدة بالطريقة المعتادة ؟
أعيت الفبطة لسانه عندما لمح وجه لويز ينطق بالسعادة ؟
فأوما موافقا - وتبسم عندما قبل الرجل القصير لويز على
وجنتيها - قائلا :

اتمنى لك كل السعادة ياسيدتى . . وانت ايضا ياسيدى ١٠
ان هذه قرية صغيرة قلما يقع فيها حدث هام . ولذلك سيخلد
هذا اليوم في ذاكرة الجميع .
فانبرى صوت يقول :

هذا حدث ستردد صده الى ابعد من القرية يا سيدى
العمدة . .

كان ذلك صوت الوصى على لويز . تقدم وقبلها وصافح
اورلاك قائلا :

- أقدم لك تهنئتى يا ستيفن . . على كل شيء . . لا اكتمك
انه انتابنى القلق عندما أبرقت الى لويز بالحضور . . فليس من
المعتاد ان يبرا المرء عاجلا اذا وقع له حادث كالذى وقع لك . .
كانت الشكوك تساورنى ، لكن هذين اليومين الاخيرين . .
ثم قضيت عبارته وقال :

.. ارجو أن تعنى بها ..

— لاتدع هذا الامر يقلقك يادكتور كوشبران .. لو شعرت في نفسي بأى شك كنت فضلت الانتظار .. إن لويز تعنى الكثير بالنسبة الى .. ولا يمكن أن أسمح لنفسي بالمخاطرة والامر كذلك .. بدأت الجماعة الصغيرة التى جاءت لشهود الحفل تنصرف الى سياراتها ، فتناول أورلاك ذراع هروسه ، وخرجافى ضوء الشمس .. وعندئذ انهمر عليهما فيض من نثار الورق الصغير — من حيث لا يدريان — كالعادة المألوفة بعد عقد الزيجات .. وجاء أنجى بعدو من مكان أقرب سيارة ، ينادى لويز ..

— نعم يا أنجى ..

حولت لويز الى الرجل العجوز وجها يشع بالابتسام .. فبرق وجهه من السرور ..
— هل لى أن أطلب بحقى يا سيدتى .. حق أكبر خدمك وتابعيك ..

فأحنت له لويز وجهها .. فأمسك بيديها وضفطهما ، ثم وضع قبلة على كل وجنة .. وتحول ليتناول يد أورلاك فى قبضة قوية مفاجئة ..

— لا يمكن أن أكون أكثر سعادة مما أنا فيه اليوم أيها السيد ! طافت بذهن أورلاك لحظة قصيرة ذكرى هجومه الوحشى على الرجل العجوز قرب قبر ميشو .. ففهم فى دهشة :
— احقا تقول ذلك لى ؟ .. اذن فأنت من خير الرجال الذين قابلتهم فى حياتى !

قاد أورلاك السيارة الى الفيلا — ولويز بجواره — عبر مشاهد ريفية بدت اليوم مفعمة باللون والجمال أكثر من قبل .. كان ثمة بحفنة قليلة من الناس فى الشرفة .. فلم يكن اذن حفل استقبال بالمعنى المفهوم .. لكن العمدة أبى الا أن يرفع نخبه بطريقة رسمية — كأنما المكان مكتظا بالناس الى أطراف الحديقة ..

فضحكت لويز لكن أورلاك ونخزها ..

— صه يا حبيبتى .. لئلا يسمعك !

فحولت وجهها جانبا — تتظاهر بتسوية الخصلة الشقراء

الشائرة التى كانت لاتفتأ تنزلق على جبهتها . وأحس أورلاك بكيانه ينتفخ زهوا بتقاطيعها الحلوة - التى بدت كأنما قد نحتها مثال . واخذ يتطلع الى جسمها الرشيق - جسم المرأة التى أضحت امراته فجأة بجرة قلم فى قاعة قرية مغيرة .. وما لبث أن وجد نفسه يعرض شفته ليمنع ضحكها من أن ينتقل اليه وهى تميل على كتفه قائلة :

- لا أستطيع أن أمنع نفسى من الضحك .. لقد جعل حدث زواجنا فى مثل ضخامة هزيمة الألمان وبناء برج ايفل ! والآن يقول انها مناسبة يقيها الذكريات ، مثل افتتاح سوق جديدة للماشية ! ثم قبضت على يده وهى تهتز من الضحك :

- أننى فى انتظار مقارنة زواجنا بمعرض باريس الكبير ..
عام ١٩٢١ !

فبرقت عيناه كأنه ينتهرها مفضبا .
- لاتكونى وقحة .. على الأقل ليس الآن ؟
لم يتمكننا من حمل العمدة على الانصراف الا عند حلول الظلام . فسار يترنح من فرط ما اكتظت به معدته من شراب . وهو يهزى بثرة عن الأطفال الكثيرين الذين ستنجبهم لويز ليكنوا شرفا للقرية .. وكان لايزال يتحدث حتى عندما انطلقت به سيارته الصغيرة المعفرة فى الطريق الذى بدأت تلمع فيه أولى الأضواء ..

وما لبثا أن شاهدا سيارة تأتى فى اتجاههما وهى تمرق بجوار سيارة العمدة . فتطلع الدكتور كوشران ، الذى كان معهما ، الى ساعته قائلا :

- آه .. ها هى السيارة التى ستحملنى الى المطار .
ثم نظر اليهما بوجه ساذج برىء - حتى أوشكا أن يعتقد بصدقه عندما قال :

- .. الا اذا فضلتما ان أبقى .. ان لدى عددا من المرضى يجب أن أستقبلهم فى لندن غدا .. لكن تابعى فى العيادة يستطيع بالطبع أن يؤجل المقابلات .

لوحت لويز بقبضتها فى وجهه وقالت فى هذر .

— أنت وقد عجوز لا قلب لك ! لعلك أيضا تأتي للسكنى معنا
على الدوام لو نطقت بحرف واحد يشجعك !
فحمل وصيها حقيبتها ومضى الى السيارة وهو يتطلع مخاطبا
القمر في السماء :

— هكذا الجيل الجديد ! لا يحبون الكبار ولا يحترمونهم !
كنت أظن انك ستفضلين بقاى معك حتى المساء ..

فقطعت لويز عليه عبارته وهى تطوق عنقه بذراعيها :
— يا عمى العزيز .. ليس ثمة من كان يفضلك وصيا على
طيلة هذه السنين . ولن نهمل أبدا من شأنك . اذا ضربنى ستيفن
فسأهرع اليك على الفور !

.. وعندما تحركت السيارة بالدكتور كوشران .. عادت لويز
الى حافة الشرفة .. وصعدت الدرج ببطء ، الى حيث كان
أورلاك واقفا .

— حبيبتى !

— ستيفن !

وتعلقت به بشدة ، فتساءل عما بها .. لكنها منست شفتيه
بشفتيها :

— لا شيء .. يا اعز مخلوق لى .. اننى مجرد فتاة على
وشك ان .. أمر غريب .. لم اكن أخشى ذلك من قبل . اما الآن
— فأننى أشعر بنفسى كتلميذة صغيرة مع اننا قد صرنا زوجين
شرعا .

ثم ارتعدت شفتاها وقالت :

— ستيفن .. يجب أن تكون رقيقا معى .. ولو فى البداية ..

فأوما برأسه ، وقادها الى الداخل وهو يقول :

— يجب أن تكون رقيقين احدهنا مع الآخر

— اعزف شيئا يا ستيفن من اجلى .

فضحك وقال :

— ليس هذا ما تزوجتك من اجله ..

فربت على رأسه من الخلف وقالت :

— هل ستبدأ متاعبي معك منذ الآن ؟ اعزف شيئاً بسيطاً . .
بعض هذه الألحان التى كنت اسمعها منك عند ماتقابلنا لأول مرة .

يجلس الى البيانو . وترك يديه تمران على المفاتيح . . كأنما
ينتظر أن توافيه النغمة التى تعجبه . . وعندما بدأ . . دق جرس
الباب ، فقالت لويز — وهى تتأوه :
— أوه . . كلا . . لا زوان . . ليس الليلة !

فتبسم لها وهتف .
— بل نعم . . سيكون هذا القادم هو السيد العمدة ومعه
ناظر المدرسة — ولجنة السيدات العشر — وعدد من الزجاجات . .
ليشربوا جميعاً نخب صحتنا !

تقر أنجى على الباب ، فدعته لويز الى الدخول فى يأس .
— هذه برقية للمسيو اورلاك يا سيدتى .
فتنفست لويز الصعداء ، وشكرته ، لكنه تساءل .

— هل انتظر يا سيدتى . . ان الرجل لايزال فى الخارج . . اذا
كان هناك رد . .
فابتسمت له لويز .

— لن نرد على شيء الليلة يا أنجى . . لبرقيات ولا شيء آخر .
وضعت البرقية دون أن تفضها على البيانو بجوار اورلاك .
فألقي عليها نظرة دون أن يتوقف عن العزف وطلب منها أن
تفتحها . ففضت الظروف واشرق وجهها .

— توقف لحظة يا حبيبى . . انها مهمة . . انها من موريس
سيدلمان فى لندن . انه يريدك أن تقيم سلسلة من الحفلات
الموسيقية فى آخر الشهر القادم . اثنان فى لندن وواحدة فى كل
من مانشستر وأدنبرة وليفاست ودبلن .

— أوه . .

ماذا بك . . ما بالك ؟

— هل تعتقدين اننى مستعد لذلك .
فتقدمت صوبه وقالت .

— بالطبع يا حبيبى .. أنك لم تعزف من قبل أفضل مما
تعزف الآن .. ثم إنك يجب أن تبدأ من جديد يوما ما ..
ووضعت كلتا يديها على كتفيه .

— سيكون كل شيء رائعا يا ستيفن . سنستأجر شقة مفروشة
في لندن . سأقوم بكل عمل البيت وسأتولى الطهى من أجلك .
ثم اهتز جسمها من الضحك

— سيكون ذلك كله مسليا . لقد حان الوقت يا ستيفن لتعزف
أى فتاة تلك التى تزوجتها . لن نكون يا ستيفن فى حاجة الى
مخلوق لو شئنا ذلك !

شعر ببصرها يتفحص وجهه . وعاد من جديد يمر بأصابعه
على مفاتيح البيانو وهو يبدو ساهما . ثم انصت بعد أن كف لصدى
النغمة وهو يتعد .

لن الرجل ينتظر الرد يا حبيبى .. سيكون ردك بالإيجاب ..
أليس كذلك ؟

طوح رأسه الى الوراء ونظر اليها من قدميها الى رأسها .
— أيتها الصغيرة المضحكة ! ألا تذكرين أنك طلبت من انجى أن
يصرف الرجل .. أنه لن تكون ثمة ردود الليلة !

— نعم أعرف ذلك .. لكن .. لم أكن أعلم يا حبيبى أن البرقية
تتضمن شيئا كهذا .. دعنى أرسل برقية بالإيجاب ، أُمليها بالتليفون
.. أرجوك يا ستيفن .

تبين فجأة قوة عزمها وتصميمها ، فأذعن .

— حسنا يا حبيبتى . ان الرد هو بالإيجاب طبعاً . اذهبنى
وأرسله على الفور .

وعندما تحولت الى الباب ، شعر فجأة بأنه لم يعد فى مقدوره
الانتظار . أحس أنه انتظر لويز طيلة حياته . فهتف :

— لويز ..

استدارت نحوه وهى عند عتبة الباب :

— نعم يا ستيفن .

عرف من همستها أن التلميذة قد ولت ؟ وحلت مكانها امرأة
ناضجة .. رأسها ممتلىء بالأفكار التى تدور فى رأسه .
— عجل بالعودة !

تمدد أورلاك على الشاطئ . الشمس في ظهره ونسمة الماء
المالح في أنفه . كان هذا هو اليوم الثامن . بقيت ثلاثة أيام قبل
الذهاب الى لندن . ثلاثة أيام أخرى من الكسل والدعة والمتعة
والاسترخاء الكامل . لا شيء يصله بالواقع أكثر من نصف ساعة
يقضيها في المساء يعزف على البيانو - يعقبها اذا شاءت لويز لحن
من تلك الألحان البسيطة التي يؤلفها عفوا وهو يعزف .

نادى لويز . كانت تجلس على صخرة فوق رأسه ببضعة
أقدام . أمامها دفتر رسم قد أسندته الى ركبتيها . في حين قطبت
ملامحها في اهتمام وهي تحرق في البرج الحجري المكسور الذي
كان يقف على حافة منحدر عالية .

ناداها مرة أخرى ، فأرسلت على ظهره سيلا من الرمال ، وقالت :
- عد الى النوم يا حبيبي . . كيف يكون حالك لو اننى تدخلت
أثناء حفلتك الموسيقية القادمة . . وصحت باسمك منادية وانت
توشك ان تعزف أحد الألحان العسيرة ؟!
انقلب على ظهره ليواجهها . .

- اذن . . فسيكون في عائلتنا فنانان حادا المزاج ' أنت تعلقين
عليك الاستديو الذي غطيت جدرانها باللوحات . . وتشرعين في تقليد
بيكاسو ؟!

- تقليد بيكاسو ؟!

- هذا ما قلته .

قال ذلك ورقد على ظهره وهو يبتسم لها . . ويتوقع ان تأتي
بحركة ، وهو يتطلع الى أطرافها الناعمة .

وما لبثت ان قفزت بجانبه - بقوة ومفاجأة لم يستطع معها
ان يتباعد . فأمسكت بمعصميه يديها اللتين لطختهما الالوان . .
وجعلت تلهو معه وهي تصيح :

- هكذا . . أيها الوحش . . تقول ذلك لمجرد أننى مبتدئة . .
لست شهيرة . .

فأمسكت الشريط الذي يربط الجزء الاعلى من رداؤها البيكينى

وهو يضحك .. وهم بجذبه . قضحكت بدورها وانحنى لتحك
انفها في انفه ، وقالت :

— انك لم تفعل شيئا ..

— لكننى أستطيع .

— ماذا تستطيع أن تفعل . اننى أمسك بمعصمك الأيسر .

ولن يجديك أن تدغدغ ظهري بيدك اليمنى لأترك معصمك .. لأننى
لن أتأثر !

فحول أورلاك رأسه وتطلع الى الشاطئ ، ثم قال :

— أترين هذا الرجل البدين القادم مع كلبه .. الرجل الذى

يسير فى اتجاهنا ؟

— نعم .. ما شأنه ؟

— فى خلال نصف دقيقة سيحاذينا تماما .. هل تعلمين ما يمكن

أن افعله عندئذ .

فهزت رأسها بالنفى وهى تبتسم .

— فى يدي اليمنى الشريطان اللذان ..

فلم تتركه يتم عبارته المفهومة ..

— أيها الوحش .. أيها الوحش القاسى المنتقم !

لكنها كانت تضحك وتهتز بشدة .. فاضطر الى أن يترك

الشريطين حتى لا يجذبهم عفا من فرط اهتزازها . وعندما

أحسّت بذلك أفلتت منه وتباعدت .. وجعلت تتقلب على الرمال

الدافئة لتترك مسافة بينها وبين اليدين اللتين امتدتا اليها .

لكنه كان أكسل من أن يفعل أكثر من ذلك . فجلست وشعرها

الاشقر بتماوج ، فى حين هزت فى وجهه قبضتها وصاحت :

— سأسابقك الى البحر ! .. من يتأخر يشتر للآخر ايس كريم !

قفز من مكانه وهرب صوب البحر .. كانت لويز تعدو امامه ،

وهى تضح بالضحك لأنها نجحت أخيرا فى حمله على القيام . ولحق

بها قبل مسافة المياه بعشرة أمتار ، ثم أمسك بها من راسيها وجرها

الى البحر .

لكنها في البحر تقلبت عليه ! استطاعت أن تتخلص من قبضته
عندما بلل الماء ذراعيها وصار من العسير الامساك بهما .. ثم اندفعت
في المياه واخذت تلهو بقدميها فتشتر الرذاذ عليه . فوقع عليها وهو
يتحاول الامساك بعقبها . لكنها راقت منه كالإبل .. وجاوزته سباحة
بقضبة ذراع .. وتحركت الى مسافة منه وجعلت تتساول الماء في
راحتها وتقذفه في اتجاهه ..

تظاهر بأنه يشس من ملاحقتها ليفريها بمتابعته وهو يخطو
عائدا أدراجه .. ليقف على الشاطئ ينظر الى أعلى الصخرة وقد
يجعل يده فوق عينيه ليقبها وهج الشمس ، لكن لويز لم يفرها
ذلك ، فسبحت على ظهرها .. على بعد ثلاثين مترا من الشاطئ
.. الى أن يشس تماما من المحاولة فاتخذ طريقه الى حيث تركا
مناشفهما ..

كان دفتر الرسم على الرمال حيث سقط عندما قفزت لويز ..
فالتقطه ونفض الرمال عن الصورة . كانت فجأة ، لكن مفعمة باللون
والحياة . وكان البرج يميل بجنون على طرف الصخرة - أكثر منه
في الحقيقة ، قد استحالت أحجاره الرمادية الى لون قرمزي صارخ
يخطف البصر . لكنه ظل ينظر الى الصورة رغم ذلك - بحب و إعجاب
لأن لويز وضعت فيها كثيرا من حيويتها وحماستها .. وشعور
السعادة الذي جذبه اليها من بادئ الأمر .

لمحها بطرف عينه تخرج من الماء وتتقدم ضوبه . فأغلق الدفتر
ووضعه فوق الصخرة الصغيرة بجانب الألوان وهو يقول :
- لا بأس به .. انه لم يتلف .. كان ملوثا بالرمال فحسب ..
فلوحت له وغيرت اتجاهها :
- سأحضر الأيس كريم !
قصاح بها :
- النقود .. انتظري لحظة !
وأخرج من جيب بنطلونه المطوي حقة من العملات الصغيرة ،
وعدا نحوها ، فاستقبلته قائلة :
- لماذا لا تذهب بنفسك يا حبيبي .. وانت منطلق بكل هذه
الطاقة !

اقتناول ذقنها باصبعيه ورقع وجهها اليه . فاقتربت منه .
وكان طعم الملح في شفتيها .
— سأذهب بالطبع . . اذهبي أنت واتمى صورتك . اننى احب
هذا البرج القرمزى !
— قرمزى ؟!
خلت بينه وبينها . وضربت بقدمها الأرض فى غضب :

— انه ليس قرمزيا . . انه رمادى !
— اذن . . القى نظرة عليه فى الظل . .
قال ذلك ومضى صوب الطريق الذى كان يحاذى طرف
الشاطئ . ثم لوح لها بينما كانت ترتقى الصخرة .

كانت الشمس تسطع على أسقف منازل القرية . والابقار ترمى
الحشائش مثقلة الأجفان بالنعاس . شعر براحة ورضا لم يسبق
ان احس بهما . رضا بحياته الجديدة مع لويـز . لويـز التى اجتمع
فى كيانها شخصان : امرأة تستطيع ان تعالج المشاكل وتقف وحدها
فى مواجهة الامور ، ومخلوقة صغيرة شقراء ، تستطيع ان تنشر
الماء فى وجهه . . وتصبغ الاوراق بالالوان ، فى حماسة الاطفال .

كان يحس التغير الذى طرا على حياته . لم يكن يعرف هذا
الشاطئ من قبل . لكنه عرف شطانا كثيرة غيره ، ذهب اليها مع
هيلجا . الا انه ما لبث عندما عاود التفكير ان تبين اختلاف هذه
الشواطىء عن تلك . فهذا كان شاطئا هادئا — شبه مهجور — غير
معروف . . بعيدا عن سيارات السياح والفنادق الكبرى وصفوف
المقاهى الرشيقة بمظلاتها المتعددة الالوان فوق الموائد . هذا شاطئ
لا يعجب هيلجا . يلزم امرأة مثلها وجود مجموعة من الرجال
ليبدوا اعجابهم بها . الوان الشاطئ والبر مهمتها ان تظهر
جمالها . تبسم اورلاك فى اكتئاب . وهو . . ما دوره ؟ مجرد عائل
لها — وان يكون فى الوقت نفسه محكا تتخلص عنده وتمسح فيه
كل ما يساورها من مشاعر الفشل والاحباط والانتكاس .

• بجوار ليف من الصيادين يطلون قاربا قد قلبوه على الشاطئ
. . حياتهم ومضى — تلاحقه سحابة من دخانهم .

كانت هي هيلجا التي وترت أعصابه الى الحد الذي أصبح معه قادرا على أن يخدع نفسه . . أن يؤمن بصدق ما حدث في الجراحة التي أجراها له فولشيف . . أن يشك في علاقته بمقتل ميشو . . الى أن أطلعه أنجى أخيرا على احدى الصحف المحلية - وفيها نبأ اعتقال لص من لصوص الفجر . . مع قائمة بالمسروقات التي استعيدت منه . فسأله حائرا عن معنى ذلك . وأشار أنجى عندئذ الى ثلاث مسروقات في القائمة وقال :

— انها من الفيلا يا سيدى . .

ثم أربد وجهه وتطلع عبر الحديقة قائلا :

— هذا يفسر مسألة ميشو المسكين يا سيدى . . لقد أطلق عواء

هاليا - يشعر معه أى لص بأن من الحكمة اسكاته . . والآن . . يستطيع سيدى أن يهدأ بالآ !

أخيرا . . أمكنه ان يتخلص من التوتر والخوف - اللذين ظلا يكتنفانه أعواما وهو في صحبة هيلجا . . ثم زاد الحوادث من قوتها .

تطلع الى الخلف مرة أخرى . . الى لويز الجالسة على الصخرة . لوح لها لكنها لم تره . كان رأسها منحنيا على دفتر الرسم . فتخيل أنها تضع فيه أحجارا قرمزية جديدة . . تزيد من صفرة الرمال ومن زرقة البحر . هذه ألوانها التي تكمل اليوم نظرتها الى الحياة . تذكر لقاءهما الاول في حفل استقبال اقامته السفارة البريطانية في باريس . مناسبة رسمية قدمه فيها احدثهم الى الدكتور كوشران . . الذى قابل عن طريقه لويز . كانت المسألة مصادفة اكثر منها أى شيء آخر : تناول الشراب في مجموعة صغيرة . . حديث مؤدب اكتشفا من خلاله أنهما سيذهبان فورا الى حفل آخر . . قد دعى اليه كل منهما بمفرده . . فكانت هذه فرصة متاحة ليعرض عليها أن يصحبها .

لم تكن المسألة حبا من أول نظرة . كانت لويز امرأة فاتنة - بتحديثها يسلى . . قد نشئت تنشئة حسنة مهذبة . لكن دائرتها كانت تضم عشرات من النساء بهذه الصفات . وكانت صحبتهم تبعث على سروره في المناسبات الاجتماعية .

لكن ، حدثَ عندئذٍ وبينما كانا في طريقهما الى الخروج أن
أمسكت بيده امرأة ذات جرم ضخيم وقالت :

— مسيو أورلاك ؟ .. لقد حاولت طيلة المساء أن أصل اليك ..
لكن في حفل استقبال كهذا ...

ثم نفخت صدرها .. فكأنما تمثلت فيها صورة ماريان — رمز
أفرنسا — لكن على نحو ساخر . وقالت :

— أود أن أهنتك يا سيدى على الطريقة التى عالجت بها الموقف
في الغرب !!

— لكن .. ؟!

فقاطعت عبارته التى تنم عن دهشة :

— لقد كانت طريقة تبعث على الإعجاب . اننى معجبة من زمن
بالدور الذى تقوم به بلادك في سياسة الشمال الأفريقى . لكن
طريقتك هذه المرة كانت عظيمة . اننى أصر على أن تشاركنى أنا
وزوجى تناول العشاء .

— لكن .. ؟!

لم يستطع من فرط دهشته أن يتقوه بأكثر من هذه الكلمة ..
وازدادت دهشته عندما وجد لويز تتدخل وهى تبسم للمرأة
البدينة ابتسامة ساحرة — وتقول :

— يجب أن نلتمس منك العذر يا سيدتى . لكن سيادته متعيب
أقليلا — ولا بد أن نعود الى السفارة !

— أنت مع المسيو أورلاك ؟

فأوسعت لها لويز في الابتسام واستطردت :

— اننى أعمل مع صاحب السعادة .. مساعدة له ..

وظلت معه الى أن أدارت المرأة ظهرها وانصرفت .. فدارت
اليه على عقبها وكتفها يهتزان وعيناها تبرقان من فرط الضحك .
وتلاقت أيديهما . فتساعل أورلاك :

— ترى أى بلد هذا الذى أشرف بتمثيله ؟!

كانت لويز عندئذ قد تفحصته كأنما تزن فيه مقدار خصاله
الوطنية . ثم تظاهرت ضاحكة بأنها تقطب وجهها اهتماما ..
وقالت :

.. بلد فى مكان ما .. بعيد .. هزيل .. جائع لا اظنك قد تناولت بعد طعاما يا مسيو اورلاك .. اليس كذلك ؟ .. اذن .. لو استطعت ان اروج من عمى الوصى .. لتمكنا من ان نتسلل معا .. على امل ان نلحق بحفلنا قبل ان يأتوا على ما فيه من اطباق !

هكذا بدا الامر ، كانت لويـز تشهد حفلاته فى باريس - احيانا مع الدكتور كوشران و احيانا وحدها . وعندما ذهب الى لندن .. عملت مؤقتا كمضيفـة استقبال فى عيادة عمها التى تقع فى شارع هارلى . وفى مدريد طلعت عليه فجأة من حيث لا يدري - فى فندقه - كمرافقة رسمية لاميرتين ايرانيتين فى رحلتهما الاولى لاوروبا . وفى روما - وجدها ايضا حيث وصل - تعمل مستشارة تاريخية لاحدى الشركات السينمائية اثناء التقاط مناظر فيلم لها .

وعندما عاد الى لندن - سألها - ووجهه خلو من كل تعبير :
- هل انت تتعقبيننى يامسر تايلور ؟
- نعم يا ستيفن .. يا حبيبى .. اننى امرأة ذات ارادة وعزم .
لولا طول الوقت الذى يستغرقه طلاقك من تلك الشـمـطاء السـكـندنافية .. كنت قد استأثرت بك من فورى !

فنفيخ صدره فى هيبة واباء :

- يا سيدتى العزيزة .. ان هذه الشمطاء السـكـندنافية - كما يحلو لك ان تصفى زوجتى - وأعترف ان فى هذا بعض العدل - هى التى شرعت تطلقنى ! .. لكننى تواق الى ان تكون اسباب الطلاق هى نفسها التى قدمت بالفعل .. ولا اريد ان تكونى انت من بين تلك الاسباب . وبهذه المناسبة هل تتزوجيننى !!

وهكذا .. انتهى به الامر الى كشك لبيع الايس كريم فى القرية التى تقع على الكورنيش . تذكر ان لويـز تحب نوعا معيناً - فابتاع بعضه ولفه فى صحيفة ليقيه الشمس .. وعاد ادراجه .

تطلع ليرى لويـز وهو لا يزال على مبعدة ، لكنها لم تكن على الصخرة . فمضى الى البحر ، وهو يشرع يده على جبهته ليقى عينيه ضوء الشمس - على امل ان يراها تلهو بين الامواج قرب الشاطئ . لكنه لم يجد لها اثرا . فظن انها اوت الى الظل تحت

الصخرة من وهج الشمس - حيث كان راقدا . غير أنه لم يشعر عليها أيضا عندما صار المكان على مدى رؤياه . لم يكن هناك سوى اكومة من المناشف وبعض صفحات جريدة تخشخش بفعل النسيم .

وانتابه القلق فجأة . استسحف الفكرة - لا يمكن أن يحدث شيء على مثل هذه البقعة من الشاطئ . ان لويز سباحة قوية . ولا بد من استبعاد احتمال تعرضها لملاعب او احتمال أن يحملها التيار بعيدا .

لكن بالطبع . . لا بد أنها ذهبت الى ما وراء الصخرة تتفقد بعض البرك في الطرف الآخر . عرج على الطريق وجرى على الرمال صوبها .

- لويز!

وتوقف - ليستطيع أن يسمع ردها . لكنها لم ترد .

قمضى يعدو . . حتى وصل الى المناشف . فالتقى بلفافة الايس كريم وصعد الى الصخرة حيث كانت تجلس . وجد دفتر الرسم والالوان لا تزال هناك . كانت قد اكملت رسم البرج . ومن فوقه لاحت سماء ذات زرقة!

ثم توقف قلبه - وتجاوز ضربة معتادة . . ذلك أنه لمح ضربة فرشاة زرقاء - قد امتدت في السماء الى الشاطئ - ولطخت الرمال الصفراء - ضربة فرشاة لا يمكن أبدا أن تكون قد جاءت عمدا وقصدا .

لقد حدث شيء للويز ! شيء مفاجيء مزعج . استدار في مكانه وتطلع الى الجانب البعيد . . حيث البرك الصغيرة تحوطها اعشاب البحر التي اختلطت فيها الصفرة والخضرة . غير أنها أيضا لم تكن هناك .

- لويز . . أين أنت ؟!

وجدتها تهوول نحوه فجأة - شاحبة الوجه - من وراء صخرة أخرى ضخمة قائمة في منتصف الطريق بين الشاطئ والبحر .
- معذرة يا حبيبتي . . لكن لا تختفى على هذا النحو . .
لقد . . .

ثم توقف عندما لمح شحوب لونها!

— ماذا حدث يا لويز . . هل انت على ما يرام ؟
أومات موافقة :

— على ما يرام ما دمت قد حضرت .

— ماذا حدث . . ان لوحتك

— اعلم ذلك . كنت مشغولة برسمها — لا ألقى انتباهي لشيء
آخر . ولهذا استطاع أن يقترب مني كثيرا . ثم تطلعت فجأة ورايته
— قد جلس القرفصاء على بعد عشرة أقدام فقط .

— من يا حبيبتي . . من ؟!

فارتجفت :

— نيرون !

قفز أورلاك على قدميه . لم يعد الشاطئ الآن بقعة وردية .
صار مساحة من الرمال مفعمة بالشر . . كل صخرة فيها . . كل
ثفرة في صخرة — تخفى خطرا جاثما . .

— وأين ذهب ؟

هزت لويز رأسها .

— لا أدري . لقد قمت من مكاني وعدوت . . وعندما تطلعت
الى الخلف ، لم استطع أن أراه . لذلك بقيت مختبئة حتى سمعت
صوتك يناديني .
— انتظري هنا . .

ارتقى المنحدر الذي يقود الى أعلى الصخرة الكبيرة . . ثم نزل
. . وأخذ يجول بين الحشائش القائمة على البرك ينظر في فجوات
الصخر التي تصلح لأن يختبئ فيها أحد . لكنه لم يجد أثرا لنيرون
. . ووجد نفسه يرتعد . . تختلط في أعماقه مشاعر الغضب
والخوف . ثم نظر الى يديه .

بدا له لأول وهلة أنهما عاديتان . لكنه عندما رفعهما لاحظ أنهما
مقوستان بعض الشيء — وأن الأصابع تنقبض وتنبسط — دون وعي
منه . . واختلجت ذراعاها — كأنما تحاول يداه أن تجلبا اليها كل
الدم الساري في عروقه . وتحول فجأة وعاد الى لويز . ثم قال لها
وهو يتصنع المرح :

— ان الایس کریم موضوع بجانب المناشف . ساء افك بعد لحظة . اننى اشعر بحرارة .
وجرى الى البحر وانفمس بجسمه فيه . ودلى ذراعيه الى القاع . وشعر بالماء البارد يكافح اندفاع الحرارة والقوة الى يديه . ظل هناك — بغير حراك — الى ان بدأ يرتعد . . فأخرج ذراعيه ، بعد ان لدعتهما برودة الماء .
وكانت يداه ساكنتين .

- ١٠ -

ثبت اورلاك زباط عنقه امام المراة فى غرفة الملابس ، بينما كان تابعه يمر بالفرشاة على سترته الهزيلة . وكان يلمح صورة لويز فى ظرف المراة ، تتالق فى رداء ابيض طويل — يبرز جمالها الفتان على نحو يخلب الالباب . . حتى انه تاق الى ان يطلق من اعماقه صيحة : فليذهب الحفل الى الجحيم . . وياخذها الى دفء المسكن الذى غادراه منذ ساعة .
تحول اليها بينما كانت تنظر فى ساعتها .

— كم بقى لنا من الوقت ؟
— خمس دقائق .
ثم استأذنته فى الانصراف بعد ان داعبت شفتيها طرف انفه :
— حظا سعيدا . . يا اعز مخلوق لدى .
— تعالى فى الاستراحة . . واخبرينى كيف حال الحفل ؟ . .
— هل استطيع ان احضر معى عمى فرانسيس ؟
— بالطبع .

أخذ يرقبها وهى تخرج . وابتسم لها — ردا على ابتسامتها له قبل ان تغلق الباب وراءها . وشرع عندئذ يذرع الغرفة جيئة وذهابا — وهو يقصى عن ذهنه كل شىء فيما خلا الموسيقى . يدرب اصابعه على المراتنة استعدادا لتلك النقرة على باب غرفته — تدعوه الى المثل على خشبة المسرح .

وما لبث ان سمع طرقة على الباب وصوتا يعون :
— هل يمكن ان ادخل يا ستيفن ؟

.. بالطبع
فتح التابع الباب لموريس سيدلمان .. ثم خرج يحمل ستره
أورلاك الأخرى .

— ستيفن ...

أوما أورلاك برأسه :

— اننى أعرف ما تقصد .. نعم — اننى فى أحسن حال .

— لقد جئت لأطمئن على أن لديك كل ما تحتاج اليه .

— وهل قصرت يوما فى أن توفر لكل فنان حاجته .. وأكثر
من حاجته ؟ أن الشيء الوحيد الذى لا تقدمه هو العرض نفسه ..
وفيما يتعلق بذلك فاننى ..

ثم قطع عبارته وتساءل :

— وكيف الحال فى صدر المسرح .. هل ثمة عدد كاف ؟

فبسط سيدلمان يديه :

— يا صديقى العزيز .. هل أنت فى حاجة حقا الى هذا

السؤال ؟ لقد نفدت جميع التذاكر .

فدرب أورلاك أصابعه على الحركة من جديد وقال :

— آمل أن أستطيع إرضاءهم

— هل تشعر بتوتر ؟

— ليس تماما .. وأنت ؟

— يا عزيزى ستيفن .. لست فى حاجة الى أن أشعر الليلة

بتوتر . أن حياة متعهد الحفلات أحيانا تحطم الأعصاب .. كحياة

بهلوان يخطو على حبل

— لكنها ليست كذلك أبدا عندما تعزف أنت . معذرة ..

مسعود لآتى بك فى خلال لحظات .

ظل أورلاك وحده برهة حتى عاد اليه تابعه . كان يحمل مظروفا

طويلا ضيقا .

— معذرة يا مسيو أورلاك .. لقد جاء ساع من مكتب البريد

بهذه الرسالة . ظننت أنها قد تكون مهمة .

فألقي أورلاك نظرة عابرة على المظروف وقال :

— لست أعتقد ذلك .. وضعها فى مكان ما .

فتركها الرجل بجانب المرأة وتساءل :
— هل ستكون في حاجة الي يا سيدى ؟
فابتسم اورلاك :

— اذا كنت راضيا عنى . فانتى راض عنك . ثم مد ذراعيه . .
كأنما يعرض هندامه على الرجل .
— هل ابدو لائقا للظهور ؟
فابتسم له التابع بدوره :
— ليس هناك ما يدعو الى القلق يا سيدى . . تحظا سعيدا .

أخذ يدرع الغرفة من جديد بعد أن تركه تابعه . . يراجع فى
ذهنه المقطوعة الموسيقية التى هو على وشك أن يعزفها . وعندما
اتم ذلك وداخله الارتياح جلس أمام المرأة يسوى لآخر مرة رباط
عنقه . ولمحت عيناه عندئذ المظروف الطويل . عليه اسمه مكتوب
بالخير . . بأحرف كبيرة . فالتقطه ووجد جانبا منه يبرز ، كأنما
هو مفعم ببضع أوراق لا شك أنها من معجب . فتح المظروف ،
ينتابه فضول الى أن يعرف ما فيه . . وأخرج محتوياته . . فاذا
بها زوج قديم بال من القفازات القطنية .

نظر اليهما فى حيرة . ثم التقط احدهما . وتفحصه . وعندئذ
دهمته نوبة فزع . حتى أن يده ظلت متصلبة ، لاتقدر على أن تقذف
بالقفاز بعيدا . كان يتدلى أمامه اسم بالأحرف السوداء . . على بعد
قدم واحدة منه « ل . فاسير » .

وسمع طرقة على الباب ، فانتزع نفسه انتزاعا من جموده —
ودس القفازين فى جيبه — بينما كان سيدلمان قد تقدم صوبه . .
وابتدره :

— حتى أماكن الواقفين قد امتلأت يا ستيفن . . اذا كنت الآن
مستعدا . . . ف . . .

— لحظة من فضلك .

كان صوته مغائرا . . حتى أنه هو نفسه لم يعرفه . وعبر الفرفة
وصب لنفسه قدحا من الماء جرعه دفعة واحدة . ورأى وجه
سيدلمان تلوح فيه اللفهة . . ثم شعر بقبضته على ذراعه :

- يا للسماء .. انك شاحب اللون .. اراهن انك لم تتناول طعاما منذ الافطار .

- لم اتناول شيئا في الواقع .

- هكذا ظننت .. ذلك خطأ كبير . ان الطعام يساعد في وقت كهذا . انت تعلم ذلك . تعلم المثل الذي يقول : « تناول المحكوم عليه افطارا دسما ثم سار بخطوة ثابتة الى المشنقة » . ما رايتك في شيء من البراندي ؟ . انه ملائم ايضا للمناسبة .
لكن اورلاك هز راسه :

- كلا .. اشكرك .

- متأكد ؟ .. اذن هيا بنا .

تقدمه سيدلمان في الردهة .. ولولا انه فعل ذلك لما عرف اورلاك أين يذهب . كل غريزة فيه كانت تهيب به ان يبتعد .. عن ناحية الباب الخلفى الذى استطاع ان يهرب الى لويز في تلك الليلة .. .
ليقع له الحادث الذى به الآن .. هذا الطريق الذى يسلكه خلف صديقه الحميم .. الى حيث يتحطم تحطيمًا امام اكبر جمهور شهدته القاعة .

كان الستار لا يزال مسدلا على خشبة المسرح . وراى اورلاك المدير بين الكواليس - واشارة خفيفة من سيدلمان أعقبها رفع الستار . واستطاع اورلاك من مكانه ان يلمح اوجه الجالسين فى الصفوف الاولى .. وأخذ يبحث من بينها يائسا عن وجه لويز .

كان الستار قد ارتفع الآن تماما . وراى اورلاك وجه سيدلمان وقد اعتراه القلق وهو يحثه على المضي .. فاتخذ طريقه كمخموون استقر عزمه على ان يفيق - وبسرعة عبر المسرح الى البيانو مباشرة .

يدوى فى اذنه التصفيق الذى انفجر تلقائيا فى القاعة . بدت له خشبة المسرح كبيرة - البيانو فى طرفها كجزيرة صغيرة يحاول ان يسبح اليها ضد تيار يعاكسه . وصل اليه اخيرا وهو يشعر ان رحلته قد استغرقت ساعات . كان التصفيق لا يزال يدوى . فتحول الى الجمهور وانحنى آليا .. ثم جلس .

كان يلمح الفنانين من بين الكواليس وقد تجمهروا بدورهم وثبتوا أعينهم عليه . شعر بعقله على وشك الانفجار . وبذل جهدا

هظيما حتى تذكر المقطوعة التي سيعزفها . حرك أصابعه من جديد .
ثم تطلع اليها في خوف عندما وجدها ملتوية بعض الشيء كالمخالب .

بدا يعزف قطمته المألوفة . . سوناتا بتهوفن « ضوء القمر » .
طاوعته الانغام الاولى ، لكن أصابعه كانت متصلبة . . ثقيلة الحركة .
: لا سلطان لعقله عليها فيما بدا له . وفجأة . . انبعثت من البيانو
نغمة نشاز ، أعقبتها أخرى . . كانت النغمتان الناشزتان شديدتى
الوضوح . . حتى لقد نفذتا الى عقله رغم ما يكتنفسه من هدير
واضطراب . اغمض عينيه ونحى من ذهنه صورة البيانو والجمهور
: . وحاول مستميتا ان ينحى صورة فاسير . وعندما فتح عينيه
من جديد . كان التركيز قد اثمر . فتطلع الى مفاتيح البيانو بهدف
وعزم . وبدا السوناتا مرة أخرى .

كان قد الف موسيقاها واحبها منذ كان طفلا . لم يكن ثمة داع
ليصحب عزفها بفكره . لقد ظل يعزفها لسنوات بمنتهى الثقة .
كان يترك نفسه لها ويدع الباقي للمران الطويل . ولكنه وجد الآن
ان لابد من ان يضع فكره في نغمة . . بقوة تركيز الطفل الذي
يحاول القراءة لأول مرة . . والا انبعثت صورة فاسير وحالت بينه
وبين الموسيقى ، بدا الايقاع يزداد سرعة . أدرك ان الجو الشعري
للسوناتا قد ضاع منه - وانه الآن يطرق مفاتيح البيانو بوحشية -
وان لم يستطع ان يهدىء من ضراوة أصابعه . نظر اليها من جديد .
ولم يستطع عندئذ ان يرفع عينيه . . فقد بدا له في شيء كالضباب
ان قفازين من القطن قد احتوتا يديه - عليهما اسم فاسير يكبر
ويكبر كلما تطلع اليهما .

ازدادت سرعته وضراوته في العزف ، كأنما عقد عزمه على أن ينهى
تلك المقطوعة بصورة مزعجة قاطعة . . حتى ليستحيل على من
يسمعا الآن ان ينصت اليها بسلام فيما بعد . وفجأة أطلق صيحة
ألم ، واستسلم . صفق غطاء البيانو ووقف - ثم مضى بعد ان رفع
مقعد البيانو من ورائه ، فسقط . وامامه بين الكواليس كان وجه
متبدلان يبدو له من وراء غلالة من ضباب .

— ستيفن . . انك مريض . . ساحضر لك طبيبا !

لكنه هز رأسه دون توقف - ومضى يتعثر في الرذهة الى غرفته
.. ويصطدم بالجدران .. وذراعه الى جنبه وخوفاً .. لكن
يدى فاسير فيهما تنبسطان وتنقبضان بشدة وعنف - حتى كانت
أظافره تغور في راحتيه .

وعند باب غرفته توقف . وتناهت اليه أصوات من جاءوا في
أعقابهم . فمضى قفزاً .. وهو يسب ويلعن بالفرنسية والانجليزية
معاً . وفتح الباب الى الشارع . فلفحته ريح مثقلة بمطر .. لكنه
تجاهلها - وخطا على طوار قد خلا من المارة .. صوب الاضواء
المتألئة في شارعى أوكسفورد وريجنت .. ثم شق طريقه بفيرتبصر
بين السيارات العابرة تنثر رذاذ الماء في بيكاديللى .. وأخيراً
الى وستمنستر كان لا يكاد يدرك الابصار التى شرعت تحديق في ذيل
سترته وهو يضرب برفق سرواله المشبع بالماء أثناء سيره . كان
يشعر بالبرد قد سرى في جسمه حتى نخاعه . لكن قدميه كانتا
تحثانه على المضي بنفس القوة التى حاول بها ان يهرب من قبل .
لكنه هذه المرة يعرف بالضبط أين يذهب .

مضى يصعد المنحدر الى قنطرة وستمنستر . كانت مياه النهر
أمامه قد اكتنفها الضباب . لكنه لم ينظر اليها . كان يكفيه ان يعلم
ان النهر هناك . ولو تطلع الآن الى لفحته الباردة لقل ذلك من
عزمه .

وصل الى منتصف القنطرة . ووضع يديه على الحاجز .
وعندئذ فقط زائلت زائلته الحمى . تطلع الى نفسه .. الى ملبسه التى
التصقت بجسمه في غير شكل . الى يديه اللتين أوضحتا الآن
مسألتين - لا ضرورة منهما - قد أبيضتا من فرط البرد .. ثم تذكر
القفازين فأخرجهما من جيبه ، وألقى بهما في الماء .

ونادى على سيارة أجرة .. ودخلها بسرعة وهو يرتعد - وحث
السائق على ان يمضى معجلاً .

وما كاد يضع مفتاحه في قفل الشقة ويفتح الباب حتى سمع
صيحة من لويز تنادى باسمه . وما لبث ان تهاوى على الارض .

وعندما أفاق .. أحس بأنه لم يعد يشعر ببرد . كان يجالسا

أمام المدفئة الكهربائية مقطعي بالبطاطين وثمة سيل نارى من البراند
ينزلق فى حلقه . . وكانت لويز تجثو على ركبتها أمامه .
مد يده اليها . وحياتها فى ضعف . واعتذر لها .

لكنها لم تكن تنصت له . . بل كانت عيناها تتطلعان من فوق
أكتفه . . وهى تلقى أذننها الى صوت من ورائه يقول :
— . . اذن فلم يكن محتفظا بتوازنه ؟!
ورأى عندئذ عينيها تبرقان .

— كلا . . يا عمى فرانسيس . . لم أقل ذلك . . أرجوك . .
لا أريد أن اتحدث فى هذا الموضوع .
فتحول أورلاك فى كرسيه ثم اعتدل . واستطاع أن يلمح الدهشة
فى وجهيهما معا :

— ما هذا الذى لا تريدان التحدث فيه ؟ . . هل هو العرض
الحقير الذى قدمته الليلة . . اننى لا ألومكما .

فاستعادت لويز رباطة جأشها بسرعة . ووضعت يديها على
أكتفيه :

— أوه يا ستيفن . . لقد شغلنا القلق عليك كثيرا .
لم يكن محتفظا بتوازنه ! . صكت العبارة ذهنه . كانت تعبيرا
مهلبا للجنون . شعر فجأة ببرودة ومرارة . لم يعد جهد المقاومة
يستحق أن يبذل . . حاول أن يجعل صوته طبيعيا بقدر الامكان :
— لا حاجة بكم الى القلق . اننى فى خير حال . كان ذلك مجرد
احتداد كما هو مألوف فى طباع الفنان .

ثم استطرد — وهو لا يستطيع أن يخفى مرارته :
— هذا اذا كان العرض الذى قدمته يمكن أن يسمى عرضا
لفنان !

فتدخل الدكتور كوشران وحاول أن يهون عليه ، بينما قالت:
لويز :

— ماذا حدث يا حبيبى . لم تكن كما عهدناك ؟
فاطلق أورلاك ضحكة قصيرة مكتئبة — ومضى صوب مائدة
الشراب .

— صيب لى كأسا من الشراب يا ستيفن .

قال ذلك الدكتور كوشران وهو يجلس على مسند أحد المقاعد
يمضغ طرف غليونه . وعندما جاءه أورلاك بما طلب ، تطلع اليه
وابتدره :

- هل أستطيع أن اتحدث اليك . . أم تأبى ذلك في نفور ؟
فقال أورلاك باستخفاف :
- تحدث بما بدا لك ؟ .

كانت جرعة الشراب ومعدته الفارغة قد جملاه يحس بخفة في
الراس

- حسنا يا ستيفن . . اننى لست موسيقيا . . لكننى اقول
أن عزفك الليلة كان عزف انسان يمانى من فرط توتر عصبى . هذا
مفهوم بالطبع . . بعد طول غيابك . . لكن يجب ألا تهمل فى شأنه ،
لماذا لاتدعنى أرتب لك موعد مع أحد زملائى ليجرى عليك فحصا
شاملا ؟ .

سمع لويز تتدخل . . .

- نعم . . لم لا ؟ . .

ارتفع الى فمه مذاق حامض . قملاً كأسه الى حافتها
وتناول معظم ما بها فى جرعة واحدة وقال :

- أشكركما . . أستطيع أن أصف الدواء لنفسى !

اضطربت أعماقه بالاستياء من الدكتور كوشران . . من اليسير
أن يتحدث المرء عن الفحص العام ، وعن عدم التوازن . ما دام لا
يعلم الحقيقة . أشار الى الزجاجاة والمع الى الطبيب :

- ما رأيك يا دكتور . . هل تتناول كأسا أخرى للطريق ؟ !
لاحظ له نظرة ضيق وخرج فى وجه لويز ، لكنه تجاهلها . وقال
الدكتور كوشران كأن لم يحدث شيء :

- لست اظن ذلك يا ستيفن . سأنام الليلة مبكرا .

وعبر الغرفة الى الباب :

- ونصيحتى اليكما أن تفعلأ مثلى .
فقالت لويز :

- سأحضر لك معطفك يا عمى .

وسمع أورلاك صوت الدكتور كوشران يحييه من القاعة :

— طاب مساؤك يا متيقن .

أحس بسوء سلوكه وانتابه تقزق مفاجيء كاد يدقعه الى العذو
وراء الرجل العجوز . . لكنه لم يستطع أن يتحرك . . فقال من
مكانه :

— طاب مساؤك يا فراتسيس

ثم جذب الاغطية عليه . . وجلس امام المدفئة . . والشرابي
يلهب احشاءه .

وعادت لويز فابتدرها :

— هل ذهب ؟

— نعم . . مسكين عمى فراتسيس . . انك لم تحسن معاملته

— ولم أحسن معاملتك انت ايضا .

— لا عليك منى . . اننى زوجتك . . اننى احبك .

كان الالم باديا فى كلماتها . . وفى عينيها . . فانهار فجأة . . فقص
بحلقه بحزن رهيب ، وعجز فى الوقت نفسه عن أن يبكى . فمد يديه
اليها ودفن وجهه فى كتفها . وشعر بيديهما تتحركان برفق على
ظهره . وتضمنانه ضمة دفاء وحماية . وتمنى عندئذ أن يظل هكذا
طول الوقت . كطفل صغير .

— هيا الى الفراش يا حبيبى . اننى أخشى أن تصاب ببرد .

نهض وتبعها الى غرفة النوم وورقد . وفى خلال دقائق كانت
يجانبه تضمه اليها . . وزال بدفتها كل اثر للبرد الذى انتابه وهو
يسير تحت المطر . تطلع الى وجهها بجواره . وقد انعكس عليه ضوء
القمر . ورأى عينيها تغمضان . . والتوتر يزایل ملامحها .

تمنى أن يفعل مثلها . أن يقص كل شيء . — فيما خلا النوم .
لكنه لم يستطع . على جبهته كان ثمة رباط محكم من الالم . . عقله
كان قد واجه الكثير . وصار احساس الالم وسيلته الاخيرة ضد
الفكر وعذابه .

دق جرس التليفون بجواره . فالتقط السماعة بسرعة حتى لا

يوقظ لويز

— هل يمكن أن اتحدث الى المسيو لوى فاسير ؟!

بحلق فى السماعة وهى تهتز فى يده :

من من ؟

فقال الصوت - وهو أكثر بعدا :

- فاسير . .

ثم سمع صوت السماعة المقابلة توضع . فحاول أورلاك أن يضع سماعته بدوره - وقد جفت شفتاه وصخب قلبه . لكنها اهتزت وأحدثت صوتا من جراء ارتعاش يده .

وقالت لويز دون أن تفتح عينيها :

- من كان ذاك ؟

لكن أورلاك كان يحدق فيما أمامه ، فلم يجب .

- من كان ذاك ؟ هل كانت النمرة خطأ ؟

- نعم . . نعم يا حبيبتي - النمرة خطأ . . هودى الى النوم . وعندئذ - ويا للفراقة - جاءه النوم . لكنه كان نوما غريبا - خالطه اضطراب وخوف بقيا في نفسه حتى الصباح .

كانت لويز قد استيقظت وارتدت ملابسها . وكان يسمع صوتها قادما من المطبخ . فانزلق من الفراش متعبا مكدودا - وحلق ذقنه - وذهب اليها . فاستقبلته بابتسامة أمل . . بدا فيها التحفظ ، وحيته بهدوء . ثم انزلت اناء القهوة من فوق الموقد . وتحركت صوبه قائلة :

- كيف حالك الآن ؟

قفزت الى لسانه كلمة لازعة - لكنها توقفت عند شفتيه . كانت لويز . . . لكن . . هل يمكنها حقا ان تبدو في هذه اللحظة في غير مسلك اشفاق ورثاء . لعل الرثاء هو أقصى ما يستطيع ان يهبه الانسان .

غمغم قائلا :

- اننى على ما يرام . . لكننى لم اتم جيدا

- اجلس وتناول افطارك . . سيساعدك هذا بعض الشيء .

كان يعلم صدق ذلك . فاكل أقصى ما يستطيع - لكن بغير شهية . وعندما أوشك أن يفرغ دق جرس التليفون . فنهض قائما ، لكن لويز كانت قد سبقته :

— اجلس حيث أنت وتناول قهوتك . ساتولى انا الامر لو كانت المكالمه لك .

ثم ابتسمت له وأردفت :

— لابد ان اتعلم على اية حال . فهذا من واجبات زوجة العازف .

وعادت بعد بضع دقائق .

— ستيفن . . كان هذا موريس سيدلمان .

فجاشت معدته بفثيان ، عندما طافت بذهنه صور حيه من عرضه المتعثر .

— لا أريد ان اراه !

فجلست لويـز فى مواجهته .

— اظن أنك مضطر الى ذلك يا حبيبى .

فقال فى لهجة حادة :

— تعتقدين اننى مدين له باعتذار ؟

— كلا . الاعتذارات تكون عن اخطاء المرء . لكن ما حدث لم يكن

من خطئك . ومع ذلك فلا بد ان تحدثه . فليس هذا هو الحفل الوحيد ولن يكون .

كان هذا شيئاً نسيه تماما . ثمة حفل آخر فى لندن . ثم اربع حفلات فى الاقاليم وفى ايرلندا .

— الا يستطيع موريس ان ينتظر ؟

— انت أدري بذلك منى . اننى لا اعرف شيئاً عن ترتيبات الحفلات .

لم يكن هناك سوى رد واحد ممكن :

— حسنا . . سأقابله

فتطلعت لويـز الى ساعتها :

— اذن يحسن بك ان ترتدى ملابسك . . لان منيارته ستمن

عليك فى خلال ساعة .

شعر بأنه ليس فى حالة تدعو الى العجلة . لكنه لم يجد فى نفسه حافزاً للمقاومة .

تطلع الى المرأة بينما كان يرتدى ملابسه . ووجد وجهه

الدهشة لم يتغير . نفس الوجه الذى عرفه طيلة حياته ؟ ليس فى
بلامحه ما يدل على الارهاق والتوتر فيما عدا تلك الظلال الرمادية
التي ظهرت تحت عينيه تنبىء عن ليلة مسهدة .

كانت تحركاته بطيئة متعثرة . . . وما كاد يفرغ حتى جاءه صوت
لويز :

لقد حضرت السيارة يا ستيفن .
مر عبر الردهة - فوجدها فى انتظاره .
- حقا سعيدا يا حبيبى . تذكر شيئا واحدا فقط .
اقبلها متسائلا :
- وما ذاك ؟

- مهما فعلت . . مهما اتخذت من قرارات - فاعلم اننى وراءك
امساندك . . مخطئا كنت او مصيبا .

تباعد قليلا عنها . . حتى هضم ذهنه عبارتها الغريبة .
وشعر بحنان شديد اليها - فقال بثقة اكثر مما كان يشـعـر
بحقيقة .

- سيكون الامر على ما يرام . .
- اذا اعترتك احدى هذه . . النوبات . فلا ترتكب اية حماقة
. . . عد الى هنا فوراً . .
فوعدها بذلك . وهبط الدرج معجلا وفتح الباب الامامى . واذا
به يفاجأ على غير استعداد بحشد من الصحفيين . صاح به احدهم
وهو يعترض طريقه :

- يا مسيو اورلاك . . هل لك ان تجيب عن بعض الاسئلة ؟
ومال آخر على كتفه :

- هل لك ان تدلى بتصريح ؟ . . هل قرأت صحف الصباح ؟
فشق طريقه بينهم وهو يقول :

- لا . . لن ادلى بأى تصريح . ليس لدى ما أقوله .

وهرول عبر الطوار الى السيارة الليموزين السوداء . بينما
كان السائق يفتح له الباب

انزلق فى مقعده ، بجوار سيدلمان ، ومرقت السيارة بهما ، وتطلع
الاخير الى الخلف ، الى حيث ترك الصحفيين وقال :

— انهم شر لا بد منه . . يحسن أن أصدر بياناً بالطبع . . أضعته
ما ستخبرني به .

شعر أورلاك بعينيه — عيني سيدلمان — مصوبتين اليه في
مساؤل . لكنه لم يقل شيئاً . فاستطرد الأخير :

— كيف حالك اليوم يا ستيفن ؟ احسن !

— نعم . . احسن . . أشكرك .

— ظننت أن من المستحسن أن نتناول الفداء في النادي الذي
أنتمى اليه . ستجد الجو أهدأ هناك .

الفداء ؟ شعر بعدم اكتراث مطلق — بالنسبة للفداء ولكل ما قد
يقوله سيدلمان .

— حسناً .

فمال سيدلمان على السائق :

— الى نادي الفنون الجميلة يا ادجار .

— حسناً يا سيدى .

ولأمر ما — سواء اكان ذلك مصادفة أم عمداً — أبطأت السيارة
في شارع ديجموز . . حيث لمح أورلاك عند قاعة الموسيقى اعلانات
كبيرة تنبئ عن حفل لموسيقار منافس . ثم اتجهت السيارة الى
شارع أوكسفورد . . حيث رأى أورلاك أمام قاعة الموسيقى التي
أكثر ما ظهر فيها هناك ، رجلاً يحمل دلو وفرشاة وهو يمحوا
الاعلانات التي كانت تتحدث عن حفله .

لو كان سيدلمان قد اختار هذا الطريق عمداً — فانه لا ريب لم
يفلح في أن يؤثر عليه . تطلع أورلاك الى يديه اللتين انتشرت فيهما
الندوب ، وهما في حجره ، وشعر بأنه قد ابتعد وانفصل عن الموسيقى
... مثلما ابتعد وانفصل عن هيلجا !

هيلجا ؟! تبسم في مرارة . كم كان هذا كله يظربها . . لا سيما
بحشود الصحفيين الذين يلاحقونه وينتظرونه على باب مسكنه . .
عاد الى التفكير في لويز . انها لا تسأل شيئاً . انها تنتظر فقط في
ولاء واخلاص . هل يكون هذا الولاء بغير جدوى ؟ هل يكون هيجن
لويز هو الطريق الوحيد العادل الذي يجب أن يسلكه ؟!
— ها نحن قد وصلنا يا ستيفن .

تخرج أورلاك من السيارة . وانتظر سيدلمان . . الذى كان ينزل
بمشقة لفرط ضخامته ، وما لبث أن شهق متأففا :

— أحيانا أود أن أتخلى عن معدتى للآخرين !
فتطلع أورلاك بحدة الى يديه بغير ارادة منه . ولمح عندئذ
سيدلمان يحدق فيه ويقول :
— هل أنت موقن أنك فعلا بخير ؟!

فأوما برأسه وبدأ تواقا الى أن يحبط أية محاولة أخرى للحديث
عن صحته .

— اننى بخير . . لكننى سأكون أحسن حالا متى تناولت بعض
الفداء .

واختارا مائدة قصية فى طرف غرفة التدخين . وجذب سيدلمان
اليه النادل (الخادم) . وهما فى طريقهما ، وأسر اليه شيئا . وما كادا
يجلسان حتى لحقت بهما زجاجة من الشراب وكأسان من الفضة .
وما لبث سيدلمان أن رفع رأسه وقال وهو يبتسم :

— نخب نسيان الليلة الماضية . لقد نسيت كل شيء عنها
بالفعل .

فشكره أورلاك وهو يدرك لأول مرة ، معنى فشله بالنسبة الى
سيدلمان وقال :

— الحق أن فيك كرما وشهامة لم أعهدهما فى أحد من قبل .
فتطلع سيدلمان الى كأسه وقال :

— أن ما يحدث لك أهم بكثير مما يحدث لحفل . . ومعدرة
بهذه المناسبة إذا كنت سأحدث فى العمل . المسألة هي . . ماذا
ستفعل بالنسبة لحفل الأسبوع القادم ؟ . لا أريد أن أطارذك بالطبع .
أستطيع أن آتى بمن يحل محلك . . لكننى يجب أن أعرف موقفك
بسرعة .

— الأفضل أن تلفيه اذن .

فوضع سيدلمان كأسه وقال :

— لكننى لا أريد الفداء يا صديقى العزيز . لا أريد الفداء إذا

كنت تشعر بأن فى مقدورك أن تحييه . . ماذا يعون طبيبك فى
ذلك ؟ . .

اقتذكر أورلاك حديثه مع الدكتور كوشران ؟

— لم اذهب الى طبيب . .

فقال سيدلمان في دهشة :

— حقا ؟! لكن . . بالطبع . . لم يكن امامك فسحة من الوقت .

اظن انك اتخذت ترتيباتك للذهاب الى الطبيب اليوم .

— اننى لا اثق بالاطباء .

— يا عزيزى ستيفن . اننى لا اثق بهم ايضا . لكن هذا لا يمنعنى

من استشارتهم .

كان يبدو ان سيدلمان قد اخذ عبارته على محمل المزاح . وما

ليث ان قال :

— اذا كنت لم . .

ثم قطع حديثه وحيثا شخصا قادما .

— هالو . . كيف حالك يا جراهام ؟

تحول أورلاك برأسه ، ثم وقف ، والرجل يصافح سيدلمان .

اكان يبدو مالوفا بعض الشيء . فقدمهما سيدلمان أحدهما الى الآخر :

— ستيفن أورلاك . . جراهام كوتس ، المثال .

فمد له أورلاك يده يصافحه . . لتلتقى بكف ضخمة — راحته

صلبة كجلد حذاء .

وجلس الرجل وهو يقول :

— معذرة لان حفل الليلة الماضية قد فاتنى !

شعر أورلاك بالدم يهرب من وجهه . ولمح الحرج في نظرات

سيدلمان . ومرت فترة صمت قصيرة مفعمة بالتوجس . وما لبث

المثال ان تدارك . .

— هل أخطأت فى قولى ؟ . .

بدأ سيدلمان يتدخل لشرح الامر . لكن الرجل قال :

— لقد كنت فى بروكسل . . ولم اصل الا صباح اليوم

فقال أورلاك من فوره :

— اذن فانت محظوظ . لقد فاتك حفل فاشل .

أرفع كوتس حاجبين مهديلين !
- هذا امر لا اكاد اصدقه .

ثم انحنى الى الامام :

- سأطلب منك معروفا كبيرا يا مسيو أورلاك . اننى اقوم
الآن بصنع تماثيل ضخمة - طول الواحد منها نحو ١٨ قدما . انها
من البرونز بالطبع . زنة التمثال منها نحو ستة أطنان .

ثم أمسك . . . بينما راح أورلاك يتطلع الىهدون ان يفهم شيئا .
واستطرد كوتس :

- أريدك أن تسمح لى باستخدام يديك !!

كانت مفاجأة انتفض لها أورلاك فى مقعده :
- يداى ؟!

- لن اطلب منك أن تجلس أمامى . ستكون مشغولا بالطبع عن
ذلك . لكننى اود أن توفر لى ولو ساعتين ،لاستطيع ان اصورهما .
ثم اصنع منهما نموذجين من الشمع !

فقال أورلاك فى جفاف واقتضاب :
- اننى آسف .

- ارجو الا ترفض قبل ان تسمع كل شيء . ان هذا عمل كبير .
أكبر عمل قمت به فى حياتى . انه يصور قيام (اليعازر) من الموت .
وسيوضع التمثال فى كاتدرائية دنكستر ، على المذبح العالى . . اليك
المشهد الآن كما اتصوره .

وجد أورلاك نفسه يحدق فى المثال ، وهو لا يقدر على ان يقطع
تمثيل كلامه المنهمر ، المتقد عاطفة وحماسا :

- هنا . . على اليسار . . سيكون المسيح . . ذراعه ممتدة .

وما لبث المثال أن قفز على قدميه واتخذ الوضع الذى صور
. . باسطا يده الى أمام .

- . . انه يقول : قم يا اليعازر . . هلم الى الخروج

ثم لوح بيده خلفه وقال :

- وهنا . . يقف توما ومارتا ومريم . . التلاميذ . . وهنا . .

على اليمين . يوجد القبر .

ورسم بذراعيه دائرة في الهواء !

- كهف كبير .. الحجر الذي في مدخله بعيد عنه . لكننا لا نرى
من (البعازر) سوى يديه !

ثم أمسك بأورلاك من معصميه وجذبهما اليه فجأة على نحو
يجعل أساور أكمامه تنزلق على ذراعيه .

- يداك يا أورلاك ! ممتدتان من القبر . تتدلى منهما الأكفان
كان الوصف أخذا .. وكان كوتس منغمسا فيه بحماس ..
حتى أن أورلاك تخيل المشهد كما لو كان حقا يشارك فيه . حدق
في يديه الأسيرتين بينما اجتاحت نوبة من الفتيان . وشعر بهما
تنقبضان وتنسبطان في اختلاج وارتعاش . ثم أطلق صيحة ألم
وجذبهما بشدة . وقفز على قدميه فجأة - فاهتزت المائدة وسقط
الكأسان على الأرض .

وصاح بعنف :

- كلا .. كلا .. عليك اللعنة !

ومرق خارجا يتعثر .. وهو يصطدم بالموائد .. عبر الردهة
إلى الطريق . وتطلع يميننا ويسارا . ثم عبر الشارع ومضى في
شارع آخر جانبي .. إلى أحد المتنزهات . قفزت أمامه كرة
فالتقطها . وكان ثمة طفل صغير يعدو نحوه .

قدم له الكرة مبتسما . لكن خطوات الطفل توقفت ، وبقي على
معدة أمتار ، دون أن يتحرك ليأخذ الكرة . فتطلع أورلاك إليها
ووجد أن يديه قد التفتا عليها - بينما غارت أصابعه في سطحها
الأسفنجي . حاول أن يبعد يديه ، لكنهما شددتا قبضتيهما بإحكام .
فصاح فجأة :

إليك .. خذ الكرة .. خذها !

ثم انتفض وألقى بها . فتدحرجت نحو الطفل الذي التقطها في
تردد . ثم تطلع إلى أورلاك في اضطراب ، وقد اتسعت حدقتاه .
وما لبث أن استدار وعدا صوب امرأة تجلس على مقعد قريب .

أخذ أورلاك يحدق في الأصابع المختلجة ، ثم دس يديه في جيبه
وسار معجلا ، بخطوات واسعة فوق الحشائش إلى بيكاديللي ..
بحيث تحمله سيارة من سيارات الأجرة إلى البيت ..

البيت؟! توقف من فوره ، ثم جلس على مقعد خال . العودة الى البيت معناها أن يزيد من آلام لويز . مجرد فترة يقضيها الى أن يحدث من جديد شيء يعجل بظهور قوة فاسير في يديه . . ويدفق شره دفقا الى أصابعه المختبئة في جيبه .

تذكر الدكتور كوشران ونصيحته فجأة . هل هذه مهمة جراح أم مهمة طبيب نفسى؟! هل يذهب الى فرانسيس ويطلعه على القصة كلها . . ويتوسل اليه أن يقدم له نصيحة ايجابية . .

نهض واستأنف السير . . . ثم اوقف احدى سيارات الأجرة وطلب من السائق أن يتوجه الى شارع هارلى . . وهذا عندئذ في مقعده محاولا أن يرتب كل شيء في ذهنه . . على نحو يفهمه فرانسيس .

لكنه كلما جاهد في ذلك ، بدا الامر كله بعيدا عن الصواب والمعقول . فنقربشدة على الزجاج الذى يفصل بينه وبين السائق . فسرعان ما انحرف الاخير بالسيارة عن جادة الطريق وأوقفها صائحا :

— ماذا تفعل بحق السماء أيها السيد . . هل تريد أن تحطم السيارة؟

فبدل أورلاك بعض الجهد ليتحكم في نفسه :

— معذرة . . لم أعد أريد الذهاب الى شارع هارلى . . خلنى الى مكتبة . أية مكتبة كبيرة عامة .

— حسنا أيها السيد . لا يهمنى أن اقودك حيث تشاء . . لكن لا تدفعنى هكذا!! . . .

أدار السائق السيارة حتى عادت الى جادة الطريق ، ثم اخترق شارعا جانبيا وتوقف قائلا :

— ما رأيك في هذه؟

فشكره أورلاك وهو يخرج وتقده أجره . لم يكن يدرى بالضبط أين يذهب . لكن الحركة ، مجرد الحركة كانت تخفف عنه . ففتح باب المكتبة ، ودخل الى قسم المراجع . ونظر في الفهرست تحت عنوان «طب» ثم عنوان « جراحة » . . ومضى عبر رفوف الكتب حتى بلغ صفا طويلا ، كانت كتبه ضخمة فسقط قلبه في قدميه

وهو يتخيل المهمة الشاقة التي هو مقدم عليها . لكنه اثر ان يمضي بترتيب . فبدأ من اليسار الى اليمين على طول الرف ، يراجع الكشافات في ذيل كل كتاب ، وينظر من بينها الى كلمات مثل « زراعة الأعضاء » و « استبدال الاعضاء » و « اعادة بناء الاعضاء » . وتناول كومة من هذه الكتب وجلس الى مائدة وشرع يبحث .

كانت معظمها كتباً قديمة . وبعد ان تصفح بعضها منها ، تجاوز عنها كلها . تحقق من ان اى مادة تتناول هذا الموضوع لا بد ان تكون جديدة . . لكنه لم يعثر على اشارة اليه الا في الكتاب العشرين . . كان ثمة جراح روسي يدعى ديميخوف ، أجرى تجربة على زراعة الأعضاء .

روسي؟! هل يمكن ان يكون زميلاً لفولشيف . قلب الصفحات بسرعة حتى عثر على بفите . ثم بدأ يقرأ - يملكه خوف طاغ مما قد تأتي به كل فقرة قادمة . قرأ عن تجربة ناجحة اجراها ديميخوف واستطاع فيها ان يزرع رأس كلب وساقيه الاماميتين في عنق كلب آخر . وقرأ ملحوظة في ذيل الصفحة تحيله على موضع آخر من الكتاب . فقلب ثلاثين صفحة ، ووصل الى تجربة أمريكية هذه المرة . . رجل قطعت ساقه ثم نجحت الجراحة في اعادتها اليه .

قطعت؟! . . نعم . . لكنها كانت ساقه على اية حال . هل من الممكن اذن استخدام السباق - واليدين - اذا كانت تنتمي لآخر؟! قطب جبينه واستعاد تجربة الكلب . يبدو ان ذلك ممكن . لكنه واصل القراءة :

« وفي كل هذه الحالات حدثت اضرار بالغة للتناسق العضلي والعصبى » . .

كانت يده الآن الى جانبيه - عاديتين - ساكنتين . . ومضى يقرأ :

« ومن المرجح في حالة الأمريكي ان تمر سنوات قبل ان يتمكن من استعادة ولو جزء من احساس الساق وحركتها . . وستبقى على اية حال اقصر من ساقه الاخرى بنحو بوصتين » . تطلع الى واجهة الكتاب ، بحثاً عن تاريخ الطبع ، فوجد انه صدر منذ عامين .

هل يمكن أن يكون فولشيف قد قطع مثل هذه الخطوة الكبيرة في خلال عامين اثنين . لقد اشتهر فولشيف بأنه رجل غامض . يحتفظ لنفسه بأسرار تقدمه . ان هذا الكتاب كتاب رسمي ، أصدره لفيف من الجراحين - فهل هذا وحده يضمن انهم كانوا على علم بكل ما يجري في العالم ؟

لم يكن امامه سوى رد واحد : لا بد قبل ان يذهب الى عيادة الدكتور كوشران ، ان يتصل بعيادة فولشيف .

وضع الكتب في مكانها ، ثم هرول الى الخارج . ووقف على الطوار ليوقف أية سيارة اجرة عابرة . لكنه عندئذ تحقق من انه رجائع . وتذكر انه فيما عدا الافطار ، لم يتناول شيئا لاكثر من اربع وعشرين ساعة خلت . فعرج على مقهى من تلك المقاهي التي يخدم المرء فيها نفسه . وجعل يزدرد الطعام ، دون ان يلحظ اصنافه . وتذكر مكالمته السابقة مع العيادة في باريس . لا بد ان فولشيف الآن قد عاد . لكن هل من الممكن ان يكشف الحقيقة ؟ هل يكون حقا راغبا - لو كانت ابحاثه سرية في ان يسمح باطلاعها على معلومات قد تنشر في صدور الصفحات الاولى لصحف العالم ؟

عليه ان يتبين الآن . . غادر المقهى وركب سيارة اجرة الى البيت .

- لويز ؟

نادى باسمها وهو يأمل ان تكون في الخارج . وارتاح عندما تأيد له ذلك وهو يتفقد الحجرات واحدة بعد اخرى . ثم التقط سماعة التليفون وطلب المكالمة في باريس . وجعل ينتظر .

سمع صوتا ينم من وضع الصحيفة المسائية في صندوق البريد . اقتوجه الى الردهة والتقطها . وجد عنوانها الرئيسي أورلاك يقول : لا تصریحات ! وتحتة صورة غير واضحة له وهو يدفع جسمه دفعا بين الصحفيين على الطوار خارج مسكنه . فكور الصحيفة غاضيا وقذف بها في ركن من الردهة .

دق الجرس ، فهرول الى حجرة الصالون والتقط السماعة . - هالو . . هل هذه عيادة البروفسور فولشيف ؟ أنا ستيفن أورلاك . لقد حدثكم من قبل ، منذ بضعة اسابيع ، وقت ان كان

البروفسور غائباً . هل أستطيع الآن أن أتحدث إليه ... انه لأمس
بالغ الأهمية ...

- معذرة يا سيدى .. ليس هذا ممكناً .

- ماذا .. ليس ممكناً ؟ . ولم ؟

- ألم ييلفك النبأ يا سيدى .. لقد أصيب البروفسور
بقولشيف بنزيف فى المخ .. والجراحون الآن على وشك إجراء
جراحة له ..

فقال اورلاك .. وقد خلا صوته من كل تعبير .

- فهمت .. أشكرك .

وضع السماعاة .. هل يستطيع أن يذهب الى الدكتور
أكوشران دون أن يتأكد ؟ . سار الى النافذة ووقف عندها ، يطل
على حركة المرور فى الطريق .. ماذا يمكن أن يقول الدكتور
أكوشران .. ماذا يمكن أن يقول دون دليل قاطع .

تحرك فى الفرقة مضطرباً .. متمنيا أن تكون لويز معه الآن .
قد عقد العزم تقريباً على أن يقول لها كل ما يعرفه عن نفسه بدلاً
أن يظل يرقب الشك المخيف الذى يلوح فى وجهها . كانت الشقة
وهى خلوة منها تبدو صغيرة .. تكاد جدرانها تنطبق عليه .. حتى
فسحة المتنزه الموحشة كانت أفضل منها .. ذهب الى الردهة
والتقط الصحيفة المكومة ووضعها فى سلة المهملات . وفى السلة
شاهد شيئاً مألوفاً . فالتقطه .. كان بروازاً صغيراً يضم صورته
وهو يجلس الى البيانو فى منظر جانبي .. لكن اليدين كانتا
مختفيتين .. بدا أن أحدا مزق هذا الجزء من الصورة .. فقطع
يديه من عند راسفيه !

عبث فى السلة ، عن الجزء المفقود . لكنه لم يجد شيئاً . من
فعل ذلك ؟ . ولماذا ؟ .

من غيره فى هذا العالم ، يعلم بأهمية يديه ؟ . البروفسور
قولشيف . ولويز مثلاً ..

وضع الصورة .. ثمة شخص آخر يعلم .. الرجل الذى
سمع حديثهما وهو مختبئ فى الشرفة .. نيرون !

إذا كان نيرون يعد العدة لتهديده ، بقية ابتزاز ماله ، فهذا
يفسر وجود القفازين في المظروف ، والمكاملة التليفونية التي كان
صاحبها يسأل عن فاسير . وتذكر أورلاك القوة المغناطيسية المنومة
لعيشى نيرون ، فأدرك أن هذا هو أسلوبه : تخويله ، ودفعه الى
حافة الجنون . . ثم الظهور وتهديده بإفشاء أمره ما لم يدفع له
ما يريد . .

كان هذا محتملا . . وأكثر من محتمل . . حقا أنه لم يكن
مليونيرا . . لكنه مكث عشر سنوات وهو في ذروة مجده الفني . .
يقيم الحفلات في كل قاعة شهيرة . . من هونج كونج الى بونس
ايرس . . وقد در عليه هذا العمل الفني ثروة متواضعة . استطاع
أن يحتفظ بمعظمها بعيدا عن برائن هيلجا . . كان لديه ما يكفي
ليجذب نيرون اليه . .
والمكاملة ؟ .

توجه الى الصالون مرة أخرى والتقط السماعة .

— هل يمكن أن أعلم ما إذا كان هذا الرقم قد تلقى مكاملة من
فرنسا ؟ . . لا . . لم تكن في الساعات القليلة الأخيرة . . كانت في
نحو منتصف الليلة الماضية .

أخذ ينقر المائدة وهو نافذ الصبر . . ينتظر الرد . . ثم قال :
— حسنا . . لا يوجد شيء . . أشكرك . .

أذن فهو نيرون الذي اتصل به من داخل الأراضي البريطانية .
بل ربما من لندن . . من مسيرة عدة أميال فقط . . أين يمكن أن
يكون ؟ . في سوهو على الأرجح . في واحد من عشرات تلك النوادي
اليلية الصغيرة التي لا تختلف عن ملهى القرد الأزرق في مارسيليا .

كان الاحتمال واحدا في الألف . لكنه كان يستحق أن يعمل
على أساسه . . أن أى عمل أفضل الآن من لا شيء . . ولو ساعده
الحظ ووجد نيرون . . أخذت اليدان عندئذ تنقبضان وتنسطان .
كان نيرون يعرف فاسير . . كان يعرف كل شيء . . سيضطر
نيرون الى أن يقول كل ما يعرف . . وعندئذ . . كي لا يفكر مرة
أخرى في تهديده . . فانه . . .

خرج من الشقة وتوجه الى سوهو في سيارة أجرة ، فابتدره السائق :

— هل تذهب الى جهة معينة في سوهو يا سيدى ؟

— شارع دين ..

سيبدأ من هناك .. ويبحث في الحى طولا وعرضا .. الحى الذى عرفه صغيرا وهو يجمع نفقات دراسته في لندن وباريس ، بالعزف مع فرق الجاز في الحانات .. وعندما هبط من السيارة استعاد في ذاكرته جغرافية الحى بوضوح . واستطاع أن يذكر المداخل البراقة لبعض تلك الحانات . والشوارع الضيقة الخلفية التى تلتصق فيها بعضها بجوار بعض .

سمع نداء موجهها اليه ..

— هالو .. هل أنت بمفردك .. تبحث عن رفيقة ؟ !

هز رأسه بالنفى وابتسم .. كان هذا جانبا من سوهو لم يتغير أبدا ..

لكن — فيما عدا ذلك كان الحى قد تغير — لم تكن ثمة نواد ليلية في المواضع التى كانت فيها قائمة من قبل .. في مكانها قامت أبنية لكاتب جديدة .. وبدلا من أن يقوم بجولة معجلة في الحى ، تباطأ بحثه .. وصار شاقا عبر الأزقة والحارات .. وحيثما لم تظهر لافتات ، كان يضطر الى القرع بشدة على الأبواب .. ليخرج له بوابون قد أثقل جفونهم النعاس .. أو راقصات نصف عاريات يطلبن اليه أن يدعوهم لشراب .. أو يتركنه وشأنهن .

لم يكن أحد من هؤلاء جميعا قد سمع بنيرون .

كان الظلام قد بدا يحل .. عندما تخلى عن البحث وعاد الى البيت .. لم تكن الشقة مضاءة عندما عاد . فجلس في الداخل وهو يتساءل لماذا تأخرت لويز .. لم يكن ثمة دليل على أنها عادت الى الشقة أثناء غيبته .

التقط الصورة من سلة المهملات وأخذ يتطلع اليها من جديد . وهو يتذكر مارسيليا حيث التقطت .. ولم يسمع الجرس الا عندما دق مرة ثانية . فوضع الصورة تحت شاشة المكتب وتوجه الى الباب ..

كان القادم هو الدكتور كوشران . ففتخ له الباب على منعته ؟
لكنه وقف كأنما يحول بينه وبين الدخول . . . وحياء وهو يقول
في غير لباقة :

— أن لويز لم تعد بعد . . .

فتحرك الدكتور قليلا الى الامام وقال :

— اعلم ذلك . . . اننى احمل اليك رسالة منها . . . هل تسمح
الى بالدخول ؟ . . .

فتنحى له اورلاك على مضض . . . ثم دخلا الى الصالون ، بينما
كان اورلاك يفكر من جديد فى أن يجعل الدكتور موضع ثقته فيروى
له كل شيء . . . نظر الى يديه بسرعة — وهما الآن تحت سيطرته
تماما — ثم قرر ألا يفعل . . . الا بعد أن يعرف المزيد .

— حسنا . . . ما هى الرسالة ؟ .

فتجاهل الدكتور كوشران مبتسما ، وفك ازرار مغطفة
وخلعه ووضعها على ظهر المقعد . . . ثم جلس .
— هل تسمح لى بشراب . . . افضل شيئا من الويسكى
— بالطبع .

صب له الكأس ، وهو يلحظ يضيق أن عم لويز ووصيها قد
شرع يخلع قفازيه ببطء . ثم وضعهما فى جيب معطفه . وأخرج
سيجارة من علبة ذهبية ، فأشعلها ، ووضع العلبة على مائدة بجوار
مقعده ، ثم أسند ظهره الى المقعد .

فقال أورلاك ساخرا وهو يناوله كأسه :

— انك تبدو مستريحا تماما !

— اننى كذلك . . . اشكرك .

تجاهل الدكتور كوشران نبرة السخرية فى صوت أورلاك .
وأشار الى كأسه .

— ألا تشاركنى ؟

— ليس الآن

— سيجارة ؟

وفتح العلبة الذهبية وأشرعها نحوه .

— كلا . . اشكرك .
— علبة جديدة . . هدية من مريض يحمل لى الشحمون
بالعرفان . خط عليها عبارة ثناء لا أستحقه

قال ذلك وأغلقها ومد يده بها اليه ليتناولها ويفحصها .
— جميلة جدا .

غمغم أورلاك بالعبارة متجاهلا العلبة ، وتساءل :
— ما هذا الشيء الذى تريد أن تحدثنى به عن لويز ؟
فرشف الدكتور كوشران من كأسه وقال :

— لقد جاءت لزيارتى بعد ظهر اليوم . ويبدو أنها لم تكن تشعر
بأنها على ما يرام فى الفترة الاخيرة . .
فذهل أورلاك ، وقطع حديثه .

— لم تذكر لى كلمة واحدة فى هذا الشأن !
— أعتقد أنها لم تكن تريد أن تشغلك .
فأمسك أورلاك مسندى المقعد بقبضتيه :

— هل هى مريضة . . ماذا حدث لها . . ؟!
— كلا . . لا شيء خطير . مجرد صداع نصفى — قريب بغض
الشيء . وقد أرسلتها كاجراء وقائى الى مستشفى ماريلبون لاجراء
فحص شامل عليها . . اختبار للدم . . والاشعة . . . الشيء
المعتاد . .

أخذ أورلاك يرقبه وهو يتحدث ، مدركا انه يعتمد الاستخفاف
وعدم المبالاة الى حد ما . . فتساءل :

— انك تخفى عنى شيئا . .
— أخفى ؟! يا عزيزى ستيفن . . انه اجراء بسيط لا اكثر . .
ليس ثمة داع للانزعاج . . وهذا هو السبب فى اننى حضرت لأشرح
كل شيء بنفسى .

— هل أنت متأكد ؟ . .

شعر الآن باضطراب . . خشية أن يكون التوتر العضبى الذى
انتابه فى الساعات الاربع والعشرين الماضية . . قد سبب لها
متاعب خطيرة . .

- ما لبث الدكتور كوشران أن تبسم له في ثقة وقال :
- اننى متأكد .. ومن الأرجح أن تعود في موعد الغذاء غدا ..
- وهي صحيحة معافاه ..
- الحمد لله ..
- كل ما في الأمر أن تترفق بها .
- تطلع اليه أورلاك بعينين ضيقتين ، وهو يتساءل في قرارته عما حفزه الى قول هذه العبارة ..
- ولم تعتقد اننى لا أترفق بها ؟ .
- فقال الطبيب بسرعة :
- ليس ثمة سبب على الإطلاق ..
- ثم تشاغل بعلبة السجائر ووضعها أخيراً على المائدة بأصابع لم تكن ثابتة تماماً ، وأردف :
- أنت تعلم أن عددا كبيرا من الأمريكيين يجرون الفحص على انفسهم بانتظام مرة كل ستة أشهر .
- فهمم أورلاك في جفاء :
- سمعت بذلك ..
- أنا شخصيا اعتقد انها فكرة غاية في التعقل .
- جدا ! .
- فقال الطبيب - بنفس اللهجة التي تنم عن عدم اكتراث ..
- كأنما يطلق عبارته عفوا :
- أستطيع أن أرتب لك فحصا بكل سهولة .. اذا شئت .
- فرفع أورلاك حاجبيه وهو يتطلع اليه :
- ولماذا انا ؟ .
- حسنا .. ولم لا ؟ .
- شعر أورلاك بأن الطبيب يراوغه ويدفعه الى موقف حرج ..
- ففاضت نفسه بكراهية له .. وقال ببرود :
- هذه هي المدة الثانية في خلال ٢٤ ساعة يا فرانسيس ..
- كنت اظن انه ليس مسموحا للأطباء البريطانيين بأن يلحوا بمثل ذلك من اجل المال ! .

هذات فترة صمت نخلت من كل حرارة .. وتصاب الدكتور
أكوشران في مجلسه .. ثم قال بجفاء :

— هذه عبارة فيها اساءة يا ستيفن .

— لقد كان اقتراحك هو الذى فيه الاساءة !

فوقف الطبيب فجأة وقال :

— اعتقد اذن ان من الافضل ان اذهب .

— كما تشاء ..

كان أورلاك قد نهض ايضا .. وناول المطف وهو يكاد يرمى

به بين يديه رميا ..

شكره الرجل مع ذلك وهو يرتديه .. ثم تحرك صوب باب
الردهة . وسار أورلاك فى أعقابيه ، كأنه يدفعه الى الخروج ..
كان يشعر عندئذ بذلك الالم يحكم رباطه على جبهته من جديد ..
وكان معنى ذلك ان العباء قد أصبح مرة أخرى اكثر مما يحتمله
عقله .. وبالرغم من انه لم يتناول مع الدكتور أى مشروب . الا انه
عرف بالضبط ما سيفعله متى انفرد بنفسه .. سيتناول زجاجة
الويسكى وكأسا ويجلس امام نار المدفأة .. يختلس بضع ساعات
من النسيان ..

وفى الردهة توقف الدكتور كوشران قليلا .. وبدأ انه يتها
لارتداء قفازيه .. ثم قال :

— اعتقد اننى نسيت علبة سجائرى هناك .. هل تسمح ؟
فكاد أورلاك يهرول الى الغرفة ، واختطف العلبة من فوق
المائدة ، وعاد بها ، وقدمها الى الرجل ..
— اشكرك .. طابت ليلتك يا ستيفن .

— طابت ليلتك ..

وأغلق الباب بصفقة كانت اكثر اساءة مما حدث من قبل ..
وعاد الى الصالون فالتقط زجاجة الشراب . لكنه تردد اذ أدرك
انه يجب ان يفعل شيئاً آخر قبل ذلك .. شيئاً كان قد عقد عزمه
عليه بينما كان ينصت الى الطبيب .

تناول سماعة التليفون . ومد يده الأخرى إلى دليل لندن .
ثم أدار القرص ..

- هالو .. هل هذه مستشفى ماريلبون ؟ . هل يمكن أن
تنقل رسالة إلى مسز أورلاك .. نعم أورلاك .. ماذا .. هل أنت
بمتأكد ؟ . اشكرك .

كان محققا في ظنونه .. أن الدكتور كوشران قد فضحه
استخفافه الظاهر .. لم يكن يقول الحقيقة .. وإذا لم تكن لويز
في المستشفى ، فأين هي الآن يا ترى .

- ١١ -

رفع رأسه عن الوسادة شبه مخمور ، بعد أن تناهى إليه
صوت قطع عليه سباته العميق الذي كان قد غرق فيه وهو
بملابسه على الفراش . شعر ببرد لاذع لأنه كان يرقد فوق أغطية
الفراش . وكان رأسه يؤلمه على نحو لا يحتمل ..

فتح عينيه . كان القمر قد تسلل بضوئه من النافذة فانعكس
ظلال قضبانها على الحجرة . تقلب وأصاح السمع فتناهى إليه
من جديد ذلك الصوت الذي ايقظه .. صوت يشبه « الخشخشة
الحادة » .

وجد نفسه فجأة قد طار النوم من عينيه تماما . أخذ يحدق
من نهاية الفراش ، وهو موقن من أنه شاهد شيئا يتحرك .
افتحامل على مرفقيه واستعد لأن يقفز من الفراش وينقض على أي
دخيل يكون قد تسلل إلى غرفته وهو نائم . وعندما أوشك أن
يتحرك ، شاهد شبحا أبيض صغيرا ، كأنما تغطيه غلالة من ضباب ،
يتحرك ببطء على غطاء الفراش منزلقا من الظلال القاتمة بجوار
أقدمه . فدهمه زعر مفاجيء شله عن الحركة . وظل راقدا وهو
يرقب هذا الشيء في فزع .. يتحرك إلى ظل من ظلال قضبان
النافذة المنعكسة على الفراش . وتبين أنه يد بشرية ، تزحف
أحيوان البحر « أبو جلمبو » على أقدامها وأطراف أصابعها .. وقد
أوشكت أن تقطع نصف الطريق إليه . فتح فمه وأطلق صرخة
مدوية . لكن لم يخرج له صوت .

وفجأة تصاعدت من خلف نهاية الفراش ضحكة ساخرة. بدأت
ذلك الدهول الذي شل أطرافه . وأمدته ببعض القوة التي حاول
بها عبثا أن يضيء المصباح الرابض بجوار فراشه . وتقدم نيرون
من الظلال الى متسع من ضوء القمر :

- هل أفزعتك يا مسيو أورلاك ؟ . ليست هذه سوى يد
العروسة اللعبة . . انها ليست مثل يدك ، لكنها تفعل ما أمرها به
وأزاح اليد عن الفراش ، وهي تتدلى من أطراف بخيوط %
ودسها في جيبه .

كان أورلاك لا يزال معقود اللسان . . وكانت ذراعه قد توقفت
قلم يعد يبحث عن زر النور .
- أنت تذكرني . . اليس كذلك ؟ . . نعم . . أرى انك تذكرني ،
وان كنت بالطبع مدهوشا لرؤيتي .

قال نيرون ذلك ، ثم تحرك ليكون اقرب الى الفراش ، وأردف :
- من المحقق انك لم تعتقد اننى نسيبتك . .
ثم ضحك وقال :

- نحن أصدقاء على أية حال . . نشترك معا في سر واحد !
فهمس أورلاك في جفاف :
- لست أعرف ما تقصد إليه .

- أعتقد أنك تعرف أيها السيد ، حفلتك الليلة الماضية ،
علمت انها لم تكن نصرا بالضبط . لكن هذا بالطبع شيء متوقع ،
ان صديقنا فامير لم يكن موسيقيا !

تحامل أورلاك على يديه وصاح :

- اخرج ! اخرج والا قتلتك !

ثم قفز فجأة الى الامام وهو في الفراش ، على نحو سريع جعل
نيرون يتراجع ، ورفع ذراعيه قائلا :

- اذا كانت هاتان يدي فامير . . فلا بد اذن أن تخافهما !
فاطلق نيرون ضحكة مقتضبة وقال :

- لكم نحن مجرمون ! بالأمس كان بتهوفن . . واليلة . . ،

نيرون المسكين !

أقترجع أورلاك أيضا في مكانه ؟ وقال :

— اذا كنت تسعى وراء المال ..

— انتظر ..

شعر أورلاك بأن نيرون يلهو به كالسمكة .. يمد له خيطا صغيرا ، ثم يجذبه الى مصير لامفر منه ..

— .. هل سبق ان طلبت منك نقودا ؟ ..

قال نيرون عبارته في رفق ، ثم استطرد بنفس اللهجة :

— اننى صديقك يا مسيو أورلاك . لا أريد الا أن اكون بقربك

.. دائما .. حيثما تذهب .. اراقبك ليلا ونهارا !

وتحرك نيرون مرة اخرى الى الامام في ضوء القمر . وكانت حيناه واضحتين . وبدأ لأورلاك أنهما تكبران حجما ، حتى لتأخذان عليه بصره كله . ووجد أن صوت نيرون قد صار يتخلل اعماق اقلبه ، كأنما يحفر فيه الكلمات حفرا :

— لقد قلت لك ايها السيد اننى صديقك . انك محظوظ يا مسيو أورلاك . ان الرجل الذى يضطر الى ان يبقى وحيدا والذى يخشى حتى نفسه ، لابد ان يحتاج لصديق .

وعاد نيرون الى الظلال ، ثم اتجه فجأة الى النافذة ووقف على حافتها . ولاح ظله الاسود لأورلاك وهو يقول :

— انك محظوظ لان تعلم ان لك صديقا في متناول يدك يراقبك دائما .

وجد أورلاك نفسه يطلق صرخة ، يحرر بها نفسه من سيطرة العينين — عيني نيرون . فقفز من الفراش الى النافذة ، وهسي يندفع مهتاجا على أمل أن يدفع نيرون دفعا في وقفته الخطيرة . لكنه لم يجد أحدا في النافذة — كان نيرون يتحرك بسرعة ومهارة لص من لصوص السطو على المنازل .. قد تسلق ماسورة المياه ، وأصبح في منتصف الطريق الى حافة نافذة الشقة التى تقع اسفل لشقته .

عاد أورلاك الى الفراش ، يحاول ان يقصى عن ذهنه كل تأثير

لعيني نيرون ؟ وكل اعتقاد يوحى بأنه يتحول أمام هاتين العينين الى مخلوق لاحول له ولا قوة . لم يستطع أن يفعل شيئاً سوى التريث والانتظار . التريث كفار قد اضطره قط الى أن يلوذ بركن ثم جعل ينتظر الى أن ينقض عليه . . ليعيش من بعد ذلك تحت امرة نيرون . يدفع ، ويظل يدفع ثمن سكوته .

وما لبث النوم أن احتواه ، لكن « الكوايس » التي انتسبته فيه كانت تبسده له حقيقة كزيارة نيرون . وتداخلت هذه « الكوايس » مع الیقظة ، حتى خال الخط الذي يفصل بين الخيال والواقع قد تحطم وانهار .

كان ضوء النهار قد انتشر عندما انتفض فجأة مستيقظاً . جلس في فراشه يحدق بعينين مفتوحتين على سعتيهما - في ارجاء الغرفة ، كأنه يتوقع أن يرى نيرون لايزال هناك ، يتسم له ويزعم صداقته .

كانت النافذة مفتوحة على مصراعها . وكان البرد شديداً . فانزل قدمه على الارض ونظر الى ملابسه المجمدة . واخذ يعث في جيوبه فعثر على علبة سجائر . فاخرج سيجارة واشعلها وجلس على حافة الفراش . يجفل كلما سعل ، بسبب رباط الالم الذي أحس به من جديد حول جبهته .

وبعد أن نفث الدخان بضع مرات ،لقى بالسيجارة من النافذة ولمح في المرآة المثبتة في مائدة التزيين خدين خشنين غير حليق يلهل فحك ذقنه ومضى متعثرا الى الحمام ، ولكنه عندما التقط الموسى وجد يديه تهتزان بعنف ، حتى انه لم يجرؤ على اكمال حلاقته . ليس على الاقل قبل ان يتناول شراباً .

كانت زجاجة الشراب ترفد على جنبها امام المدفئة الكهربائية التي كانت لاتزال تتوهج في حجرة الصالون ، لكن الزجاجة كانت خالية . فانحنى ليلتقطها واطلمت الدنيا عندئذ في عينيه لحظات كشبه دوار انتابه ، لكنه حملها بطريقة آلية وسار بها عبر الغرفة وهو يتمتم لنفسه بكلمات غير مفهومة ، واسقطها بحذر في سلة المهملات .

فتح دولاب الشراب ، واخذ يهز كل زجاجة بدورها . وتذكر انه فعل ذلك من قبل ، كان ذلك في وقت متأخر من الليل ، بعد ان افرغ ما عنده من ويسكى . ووجد انه لايزال في حاجة الى النسيان الذى ينشده ، فزحف على يديه وركبتيه الى دولاب الشراب واخذ يجرع من الزجاجات نفسها .. خليطا من الجن والفودكا . لم يترك شيئا الا وشرب منه .

تحول عبر الغرفة وأغلق المدفئة الكهربائية - التى كانت قد نشرت من حوله جوا من الحرارة الشديدة . وتقدم الى المطبخ وهو يسائل نفسه هل ياترى يقدر على أن يصنع لنفسه قهوة قبل أن تنهار ساقاه ؟ . ثم توقف وهو في طريقه الى الباب عندما أحس بخفيه يطان بعض شظايا من الزجاج .

كانت هى الصورة ذات اليدين المقطوعتين . فالتقطها ووضعها على المائدة ، وجهها الى أسفل ، فى الوقت الذى تنهى إليه فيه صوت مفتاح يدور فى باب الشقة .

بدت لويز أمامه كأنها تسبح ببطء داخل الغرفة ، تتألق فى تحركاتها على نحو جعله يغمض عينيه نصف اغماضة ..

حياها فى مثل زمجرة حيوان . فامسكت بذراعيه وقالت بعصبية :

- هالو .. هل افتقدتنى يا حبيبى ؟

ثم قبلته فى جانب خده وما لبثت أن تاففت من رائحة شرابه . وقالت بخفة ، لم تغب عنه وراءها لمحة هستيرية :
- ماذا حدث لك .. هل سقطت فى دن خمار ؟

- أين كنت ؟ ..

- ألم .. ألم يقل لك عمى فرانسيس ؟ لقد حدثنى بأنه قادم اليك ليخبرك ..

فابتسم فى مراة :

- أوه .. نعم - لقد أخبرنى . كانت حكاية مؤثرة .. بعد

شغلنى القلق عليك كثيرا ..

بدا وجه لويز أكثر شحوبا ، وقالت :

مالك يا حبيبى . ائمة امر خطأ ؟
فالتقط أورلاك الصورة ذات الزجاج المهشم ودفع بها أمام
وجهها قائلاً :

— لقد مكثت بعض الوقت اتطلع الى هذه !
فارتدت لويز الى الورا مأخوذة . وخرج صوتها همسا :

— كم هو فظيع ؟!

ثم دفعت الصورة بعيدا وحولت رأسها ، وتساءلت :
— من .. من فعل ذلك ؟

— الا تعرفين ؟

— لا أتصور أحدا ..

فصوب اليها أورلاك نظرات اتهام . كانت ئمة أفكار قد تواترت
هلى ذهنه بصورة محكمة : لقد اشمازت منه ونفرت . وقضت
الليل مع رجل آخر .. شخص آخر نظيف .. يستطيع ان يحو
من ذاكرتها صورة جسمه وعقله المريضين .

— الا تتصورين حقا ؟

حدقت لويز فى وجهه بفزع :

— لا اظنك تعتقد اننى فعلت ذلك ؟!

— ألم تفعلينه ؟!

— كلا .. كلا .. بالطبع لا ..

كان صوتها قد ازداد حدة من فرط الدعر :

— يجب أن تصدقنى يا حبيبى .

— ولماذا اصدقك ؟!

بدا أنه لم يعد يهتم بشيء على الإطلاق . فأمسكت لويز به من
اكتفه ، لكنه بقى متصلبا . فقالت فى يأس ..

— ستيفن .. يا اعز مخلوق لى .. لاتتحول ضدى .. انك

فى حاجة الى !

استطاع عندئذ أن يخلى بين ذلك الرباط من الألم وبين جبهته
وان يفكر فيما قالته ، وما لبث أن قال بهدوء وتمعن

— اذا لم تكونى انت .. فمن يكون ؟ ليس فرانسيس .. لاننى

وجدتها على هذا النحو قبل أن يحضر . . . وعلى أية حال ؟ فلماذا
يقدم فرانسيس على هذا الفعل . . .

كانت لويز قد قطبت جبينها . ثم قالت - كأنما تشبك في
رجدوى ما تقول :

- كان هناك بالطبع . . تلك المرأة . .

- أى امرأة ؟

- امرأة كانت ترتدى السواد ياستيقن - جاءت بالأمس وقالت
ان لديك شيئاً يخص زوجها .

- ماذا . . ؟ تقصد الموسيقى ؟ تعلمين أننى لا أحسن رد الاشياء
الى أصحابها .

قال ذلك وهو يهز رأسه حيرة . . لكنها بدت الآن يائسة تماماً
كأنما تندم على ما قالته :

- هذا هو الامر الغريب ياستيقن ، انها لم تذكر شيئاً .

- وما هو اسمها ؟

أخذت لويز تتطلع يمينا ويسارا فى حيرة واضطراب ، متجنبة
ان يلتقى بصرها ببصره ، ثم تحركت بعيدا وقالت :

- سأعد لك بعض القهوة يا حبيبى . . متى كانت آخر مرة
تساولت فيها . . .

فتقدم اليها ويداه مبسوطتان امامه ، وهو يكافح لئلا يفقد
السيطرة على نفسه ، وهتف :

- ما هو اسمها !

لكن بدأ له إنه يعرف الجواب ، حتى قبل أن تهمس بصوت
مفعم بالخسوف :

- مدام فاسير !

تطلع اليها كالمخمور ، قد فارقت ساقيه قواهما . وبدأ يشعر
بأنه يترنح . فأمسكت بذراعه وقادته الى مقعد . وسمعها تقول :
وكان صوتها يبدو كأنه آت من بعيد :

- انتظر هنا يا ستيفن . . استرح فى مقعدك ولا تتحرك . .
حتى احضر اليك بعض القهوة .

لم يكن يشعر بالقهوة وهو يشربها . لكنها عندما انزلت الى
احشائه قوية لاذعة . . صفا ذهنه . . فقال في اعياء
- بالطبع كانت هي . . هل تركتها وحدها ؟

- لا اعتقد . . اوه . . نعم ، تركتها بالطبع . . كانت على وشك
أن تنفجر بالبكاء وهي تحدثني عن زوجها الذي لقي منذ نحو عام
ميتة تبعث على الاسى . .
وما لبثت أن صمتت وتطلعت اليه - فقال بجدّة

- استمرى . .
- ذهبت لاحضر لها قدحا من الماء .
أقبدا أورلاك يضحك في هستيرية :
- هكذا اذن فعلتها ! . . الا اذا لم تكن هي . . الا اذا كان نيرون .
- نيرون ؟ !
أمسكت لويز بقدرح القهوة وهو يكاد يقع من يده لفرط
انتفاضه . .

- اتعنى ذلك الرجل الرهيب الذي لقيته في مارسيليا ؟
- من الممكن أن يكون هو .
ثم أسند أورلاك ظهره الى المقعد . . وأخذ جسمه يختلج من
ثوبات ضحكه المفعم بالآلم :
- لست أدري كم من المرات جاء الى هنا . . لقد كان هنا
الليلة الماضية ! . .

- هنا ؟ في الشقة ؟
- لقد تبعني الى لندن ، ويقول انه لن يتركني أبدا ! . . انه
يقول . .

وتملكته عندئذ نوبة طاغية . مائت الكلمات على شفثيه وهو
يشدد قبضتيه على مسند المقعد . ثم قفز على قدميه ومرق الى
النافذة وأصابه تخطج مهتاجة - دون أن يجد في نفسه قدرة على
السيطرة عليها - وهي تحاول فتح مزلاج النافذة . . وما لبث أن
أمسك وتطلع الى يديه في احتقار . ثم انبعث يضحك في هستيرية .
في موجات متعاقبة من الآلم المضنى . . وتحول الى لويز قائلا :

ـ أنه يقول . . أنه صديقي !

واختطف زجاجة الويسكى الفارغة ورفعها فوق رأسه وحاول أن يهوى بها في ضربة تخفف ألمه . . لكنه لم يجد لدهشته قوة في ذراعه . . فنزلت الزجاجة تحك عارضه بغير ضرر ، ثم سقطت على الأرض . ووقف هو - قد تهدلت كتفاه وتعانقت يداه أمامه ، يحسق فيها .

وعندما جذبته نواير من كفه وقادته الى الأريكة ، لم يقاوم . كانت تفهم بكلمات لتهون عليه وهى تفضيه ببطانية - لكنه لم يتأثر بكلماتها ، لم يكن يعنى شيئاً . . الا أن هناك على الوسادة التى وضع رأسه عليها وردتين مطرزتين . . لكنهما لم يكونا في صف واحد . بدا له الأمر بالغ الأهمية فجعل يحاول اخراج غرز الطرز بأظافر أصابعه !

كانت يداه هذه المرة ثابتتين كالصخرة .
كانت يداه هذه المرة ثابتتين كالصخرة .

قطع عليه جرس التليفون مهمته . فتطلع . . ليجد لدهشته أنه فك بأظافره خيوط الطرز من ثلاث وسائد . لم يكن ثمة من يرد على التليفون . فتحقق من أن لويز لا بد قد خرجت . . لاحظاً مزيد من الوسائد على الأرجح ؟!

وجد نفسه يقول فى التليفون : هالو . . دون أن يعنى تماماً كيف وصل اليه . ثم اردف :

ـ هالو . . من المتحدث ؟

ـ هنا راردور : ٥٧٨ . اننى اخبرك برقمى يامسبو أورلاك قبل أن تضع السماعة - اننى نىرون صديقك . هذا اذا أردت أن تتحدث الى صديقك نىرون . واننى موقن من أنك تريد التحدث الى . .

رمى السماعة . واعتدل فى مكانه ، ثم نظر فى أرجاء الحجرة . . الى أغطية الوسائد المكومة . . الى دولاب الشراب الذى شاعت فيه الفوضى . . الى الزجاجة المطروحة على الأرض . عجباً . . ليس العهد بلويز أن تترك المكان أثناء النهار فى مثل هذا الاضطراب ! . .
ـ لويز !

لم يجبه أحد . بالطبع لا . . لن يجيبه أحد . لقد خرجت . .

توجه الى الحمام وحلق ذقنه . و اردور ٥٧٨٠ ؟ الافضل ان يتصل
بهذا الرقم . فيرون لا يحب ان يخذله احد ! ليس من العدل ان يخذله
.. منذ انتقل من عهدة سيدلمان الى عهدة فيرون .. وحجز التذاكر
لحفلاته صار افضل مما كان !! هذا الاحمق البدين سيدلمان ! اى
جمهور !! لم يكن له جمهور طبع طيلة هذه السنين . لكنه الآن فى
عهدة فيرون .. يجد الجمهور المثالى كلهم يلزمون الصمت . كلهم
يصفقون فى اللحظة المناسبة !

واردور ٥٧٨٠ ؟ .. تطلع الى نفسه . الى سترته المجمعدة ،
واخذ يضحك فى هدوء وخفوت . الحمد لله .. انها محادثة
بالتليفون وليست وجها لوجه . ان فيرون لا يحب الفوضى .. لا يحب
ان يظهر غير مهندم .. و اردور ٥٧٨٠ ؟ .. سوى رباط عنقه
.. وشعره .. والتقط السماعة وادار القرص . فسمع فيرون
يقول :

— هالو .. نعم .. اننى اعرف من انت !

وفجأة صحا عقله على هذا الصوت . جاءت صحوته كتحدير
انبعث من قرارته .. فقال لفيرون فى لهجة آمرة :
— ماذا تريد ان تقول لى ؟

— المسألة خاصة بزوجتك يامسيو اورلاك . ان زوجتك
الجميلة وعمها الوصى لديهما خطة صغيرة بشأنك ..

— خطة ؟ .. ماذا تعنى ؟

— الامر بسيط ياسيدى . انهما يتآمران على عزلك . يعتقدان
انك مجنون يامسيو اورلاك ؟

عاد اورلاك يرمى السماعة غاضبا . وتطلع فى اكتاب الى يديه
ملتويتين كالمخالب على حافة المكتب بجوار التليفون . مجنون ؟ ! ..
ضحك وتطلع الى نفسه فى المرآة . ومن طرف فمه انزلق على ذقنه
خيوط من الرغبة البيضاء . لكم هو مهملا . لقد ظن انه جفف وجهه
جيدا عقب الحلاقة . الحمد لله ان لاحظ ذلك . لن يكون فى صالحه
ابدا ان يظهر كذلك عندما تأتى لويز ..
عاد مرة اخرى الى الحمام ..

ظاف أورلاك بحجرات البيت ، ينظم كلا منها ويرتب ما بها في عناية .. ثم ارتدى قميصا نظيفا ورداء من دولاب ملابسه .. وعاد الى الصالون فأزال اثر الاضطراب في دولاب الشرايب . والقى بالزجاجات الفارغة بعيدا . ثم نظف المنافض ، وطوى اغطية الوسائد ووضعها بدقة وعناية على المائدة . ثم أعاد ترتيب الوسائد على الأريكة ..

وكان خلال ذلك ينصت متوقعا أن يسمع صوت المفتاح ولويزا تديره في قفل الباب . لكن اليوم مر عليه بطيئا . ومكث فترة يرقب الساعة وهي تتحرك تدريجيا من الواحدة الى الثانية والنصف . وأخيرا قام وقد نفذ صبره .. و .. قدم الساعة ساعة ! . وذهنه يهيب به أنه استطاع في هذه الحركة السريعة الرائعة أن يحقق معجزة أعيت العلماء لقرون طويلة ! .

صنع لنفسه « توست » في المطبخ عندما شعر بالجوع . وأعد اناء ضخما من الشاي جعل يشربه قدحا بعد قدح ، لا يكاد يشعر بفتور حرارته . وعندما كان يشرب قدحه الخامس لاحظ أن العتمة قد بدأت تنتشر . فأضاء مضباح مائدة بجواره . وشاهد ظلام الردهة ، فعبّر الغرفة وأضاء الضوء بجوار الباب الأمامي ، وشعر عندئذ بارتياح فجلس في مقعد بالقرب من النافذة . مكث ينتظر نصف ساعة ثم اسدل الستائر ، وبينما كان يفعل ذلك جاءه الصوت الذي كان في انتظاره . فتحرك خلف الستائر ليخفي نفسه بينما دخلت لويزا الغرفة :

- ستيفن ؟

لم يتحرك ..

- ستيفن ؟

رآها من فرجة بين الستائر تعبر الغرفة الى الممر الذي يؤدي الى حجرة النوم . وجاءه صوتها من ذلك البعد يناديه مرة أخرى :

وما لبثت أن عادت من غير معطفها وقبعتها ، وألقت بحقيبتها على مقعد ، ثم نظرت الى الأريكة .. وبانت الحيرة على وجهها وهي

تلتقط احدى الوسائد .. ثم اتجهت صوب المائدة التى رصت فوقها الاغطية . وانتقل بصرها الى منفضة سجاثر . وتجمد اورلاك وهو يشاهدها تلتقط منها سيجارة قد تآكل نصفها ولم تزل تحترق . ولم يلبث ان وجدها تتطلع الى مكمته مباشرة .

دق جرس التليفون ، فاطفات السيجارة .. ثم تناولت السماعه :

— هالو .. اوه .. نعم يا عمى فرانسيس . منذ دقيقة واحدة فقط ..

ثم بعد فترة صمت :

— نعم .. حاولت الاتصال بك طيلة النهار . سكوتلانديارد ؟ لكننى قد جئت من هناك لتوى .. انت ماذا ؟ . عليك الذهبية
تعنى ان بصمات اصابعه عليها .. فهمت .. حسنا .. لقد قلت له .. نعم .. نعم يا عمى .. انه ...

خرج اورلاك من خلف الستائر .. كان ظهرها ناحيته . وبدأ يشعر بالقوة تدب في يديه وتجعلهما تهتزان في ايقاع واحد ، كاختلاجات نبض ضخمة .

— نعم .. يجب وقفه .. ان ستيفن قد جن .. سيفعلون ذلك .. الليلة ؟ . اوه .. الحمد لله .. لكم بيعث هذا على الارتياح ..

كان عندئذ يقف على مسافة متر واحد خلفها ..

— كلا .. كلا يا عمى .. انه ليس هنا .. اعتقد انه ...

ثم امسكت .. اذ انبعثت منها صرخة مخنوقة ، واورلاك يمد يده من خلفها ويتناول السماعه من يدها .. ثم يضعها في مكانها ، حاولت لويز ان تتراجع في ذعر فامسك بمعصمها في قوة اطلقت بسببها صرخة ألم ، ثم دفعها عبر الغرفة الى الاركة .. ووقف على راسها وهى متكومة هناك ، تحاول ان تبعد نفسها عن متناولها الى اقصى ما تستطيع .

وانبعث يضحك :

— اذن فقد ذهبت الى البوليس يا لويز .. كم كنت احمق ؟ .

وأخذ يقلد صوتها في سخرية :
 - لا تتحول ضدى يا ستيفن .. انك في حاجة الى .. اتذكرين
 .. وبعد ذلك تذهبين مباشرة الى البوليس .
 هزت لويس رأسها في يأس :
 - نعم .. لكننى لم اذهب الى البوليس بسببك .. بل بسبب
 نيرون .. ذهبت الى موريس اولا ، وقد استطاع ان يعرف اين
 يعمل نيرون .. انه في ناد صغير حقير بحى سو هو ..
 - انك تكذبين يا لويز .. لقد تجولت بالأمس في كل شعب
 من سو هو ..
 - أنتى أقول الحق .. انه يعمل في ملهى يدعى « اندفليكس »
 وعندما وصلت الى هناك شاهدت تلك الفتاة ..
 - أى فتاة ؟
 - مدام فاسير .. التى جاءت هنا !
 تطلع اورلاك اليها يبرود :
 - لا فائدة يا لويز .. لست اعتقد ان هناك من تدعى مدام
 فاسير ..
 - كلا يا ستيفن .. ليس هناك حقا .. لكنها تلك الفتاة
 شريكة نيرون .. لقد عرفتها بمجرد أن رايتها تجرى (بروفة) .
 وذلك الجزء المقطوع من الصورة .. كان في حجرتها !
 - واين هو الآن ؟
 - لست .. لست أدري .. اعتقد انه لا يزال هناك .. لكن
 .. هذا كله لم يعد مهما باستيفن .. عندما كان عمى فرانسيس
 هنا ، أخذ بصمات أصابعك . وقد كتبت سكوتلانديارد الى باريس
 للحصول على ...
 فاهوى بقبضته على طرف الأريكة ، وهتف :
 - لا فائدة يا لويز .. لقد تحدث الى نيرون بالتليفون وأخبرنى
 بالحقيقة .. اعتقد أنك كنت تدبرين كل ذلك بالأمس .
 - كلا !
 - بالأمس .. وأنت في مستشفى ماريلبون تحت المراقبة ..
 اتصلت بهم يا لويز ..

ثم ضحك مفاخرًا ، وادق :

- لم تدركى بالطبع اتنى سافكر فى ذلك .. لم يكن هناك من يدعى مدام أورلاك فى المستشفى .. هل لا زلت تصرين على هذه الكذبة ؟

- كلا !

صاحت لويز بذلك وهى تنزع نفسها انتزاعا من الأريكة ، وعيناها تنتقلان بسرعة يمينا ويسارا بحثا عن مهرب .

- كلا .. لم اكن فى المستشفى .. لقد كذبت عليك فى هذا ،

أبو كذب عليك عمى فرانسيس . لقد كنت فى باريس ..

فقال أورلاك ساخرًا :

- أو فى القمر !

- ذهبت لأقابل فولشيف . كنت أريد أن أسأله عن .. لكننى

لم أستطع ! . كان مريضًا ، مريضًا جدًا .. لقد رأيته .. وكان يبدو على وشك الموت ..

- شىء مقنع تمامًا ! . لكن .. لست مضطرة الى الذهاب

لباريس كي تطمئنى على فولشيف .. لقد عرفت أمره بالتليفون ..

وأنت فعلت نفس الشىء يا لويز .. اذن فماذا كنت تفعلين حقا

بالأمس ؟ !

- ستيفن ..

ارتفع صوتها فى صرخة :

- ستيفن .. يجب أن تصدقتى يا حبيبى .

- لست أصدق كلمة واحدة من كلماتك منذ دخلت من هذا

الباب .

- ماذا .. ماذا ستفعل ؟ !

كانت عيناها عندئذ مثبتتين فى هلع على يديه .. ترقب وهى

مأخوذة فى فزع نبض اختلاجهما والأصابع تنقبض وتنبسط ..

انحنى عليها .. لا يكاد يجد القدرة على التحدث بعد أن انصرفت

قواه كلها فجأة من جسمه الى أطراف أصابعه .. وهمس :

- ألم تخمنى بعد ؟ !

- ستيفن .. أرجوك .. انك لا تفهم .. يا حبيبى ..

— لا أفهم ؟ . ولكننى لیس لى دور فى هذا . . اننى لا أريد
أن أوديك . . لكن ما فعلته أنت كان خيانة لفاسير . . وفاسير
لا رحمة عنده ! .

فتمهل هنيهة :

واى عينيها تمتلئان دموعا . .

— ستيفن . . ستيفن . . الا أستطيع أن أقول شيئا ؟ .
فهز رأسه . .

— لا شيء يغير من فاسير ! .

وفجأة توقفت عن بذل كل جهد فى التراجع أمام يديه المرعيتين
.. كأنما ركبها الأعياء ولحققتها الهزيمة . . وقالت فى هدوء :

— أعتقد اننى أستطيع أن أقاومك قليلا . . لكنك أقوى منى .
ثم مدت يديها ، وقد شحبت لونها ، وقسرت شفيتها على أن
تتفرجا فى ابتسامة . . وأخذت ذراعيه من العصمين ، وجعلتهما
على عنقها :

— والآن . . أقدم . . اذا أردت . . ان يدبك على عنقى . .
انهما يداك يا حبيبى لا يداه . . اتظن اننى لا أعرفهما . . انظر فى
عيني . . واذا كان ثمة ذرة فى عقلك المسكين لم يكتنفها الغمام
بعد ، فسترى اننى أحبك ! . سترى اننى أحبيتك دائما . . واننى
لن أفعل شيئا يضرك أبدا ! .

لكن الكلمات الآن لم يعد لها سلطان . . نحاول أورلاك
مستميتا . . بذلك الخيط الرفيع من التعقل الذى بقى له ، أن
يحمل يديه على التراجع ، لكنه أدرك فى الوقت نفسه أنه يكافح
إقوة قاهرة . .

شعر يديه تتصلب . . وأحس بدفع عنقها وهما تفوران فيه
.. ولح انتفاضة صدرها . . انتفاضة مفعمة بالألم وهى تكافح
من أجل الهواء . .

دق جرس الباب ، فبدأ كصرخة انبعثت فجأة ، فتراجعت بدا
أورلاك بسرعة الى جنبه ، وهو يسمع صوت الدكتور كوشران
يقول من الخارج :

— لويز . . هل أنت بخير ؟ . .

أحسن بشفتيه ترتدان الى داخل قمه حتى انقرست قبيهما
أطراف أسنانه ، وتطلعت اليه لويز بنظرة ملؤها الرعب ، وهي
تمر يديها على عنقها .. ثم صاحت :

— كلا يا ستيفن .. أرجوك .. ليس عمى فرانسيس !

وامسكت يديه ، وحاولت أن تعيدهما الى حيث كانا .

— هاك .. افعل ما بدا لك .. لكن ليس (هههه)

غير أنه انفلت بعيدا ودار ببطء الى الباب ، ثم توقف برهة
ويده على مقبضه ، وفتح فجأة على مصراعيه وهو يمد يديه الى
عنق الدكتور كوشران .

لكنه سرعان ما توقف عندما لح بجواره رجلين ..

وقال الدكتور كوشران وهو يتحرك ليغرق من جانبه :

— أين لويز ؟ ..

فتنحى له أورلاك في أعياء ، وهو يهز رأسه مشيرا الى الصالون
فسرعان ما تجاوزه الدكتور وأحد الرجلين ، بينما أغلق الرجل
الثاني الباب ووقف وظهره اليه ..

وفي الصالون كانت لويز تقف ، لكنها ما لبثت أن انهارت بين
ذراعي الدكتور كوشران ، ونظر أورلاك الى يديه المهترتين ، ثم
أضحك ، وابتدره الرجل :

— انتى ضابط بوليس يا مسيو أورلاك .. أريد أن اتحدث
اليك ..

— أوه ..

— اسمى هندرسون .. مفتش بالبوليس .. يجب أن تأتي ..
نقمم أورلاك مقاطعا :

— سأتى بمعطفى ..

وتحرك ببطء في الغرفة متجاهلا لويز والدكتور .. ثم توجه
هزبر الممر الى غرفة النوم ، بدأت الامور تتضح في ذهنه بصورة
منخيفة أرسلت في جسده قشعريرة ، تحقق مما حدث .. عرق
أين الحقيقة .. أراد أن يعود الى الصالون ، ويأخذ لويز بين
ذراعيه ، ثم يحاول أن ...

لكن ما الفائدة .. لقد تجاوزَ المدى .. وحتى اذا استطاع
أن يحملها على تفهم الأمر .. فأى جدوى فى هذا ؟ سيكسب اربعا
وعشرين ساعة أخرى - وربما أسبوعا - الى أن تختلج يدا فاسير
بمرة أخرى فى ذراعيه .. بتأثير نيرون !
نيرون .. !

كان قد تناول المعطف من الدولاب ، لكنه وضعه الآن على
الفراش ، وعبر الغرفة الى النافذة ، ففتحها على مصراعها وتطلع
الى ماسورة المياه الى جانب حافتها .. أيستطيع أن يفعل بنفسه
بما فعله نيرون .. ربما .

كانت الظلمة من تحته كمقارة تتشاءب لابتلاعه فارتقى حافة
النافذة .. ثم مد يده الى ماسورة المياه ، وجعل احدى يديه
خلفها .. ثم دفع بجسمه الى الخارج بحرص .. بوصة ، بوصة ،
الى أن تدلت ساقاه .. والتحمت أطراف أصابعه فى الحذاء
بالماسورة والتفت عليها . فالتصقت بها ركبته . ثم بدأ يدلى
نفسه .. دون أن يجرؤ على النظر الى أسفل ..
- يا الهى .. !

سمع الصيحة من فوقه ، وتطلع الى المفتش هندرسون الذى
بدا كالظل من ضوء الغرفة الساطع ، فهبط بسرعة بضعة اقدام
أخرى .. ومر بنافذة ثانية ، ثم نظر الى أعلى من جديد . كان
الظل قد اختفى ، لكنه كان يسمع صياحا من فوق ، ثم عاد
هندرسون ، ومعه لويز هذه المرة .

- ستيفن .. أين أنت يا ستيفن .. عد حالا ..

فازداد هبوطا ..

- أرجوك يا ستيفن .. عد أرجوك ..

فضحك ، وكاد يفقد قبضته على الماسورة من فرط اهتزاز
بدنه وصاح :

- ولماذا أعود .. لكى يلقى على القبض ؟ ! ..

ورد عليه صوت المفتش هندرسون :

- مستر أورلاك ! .. لن يقدم أحد على ..

أسقط نفسه ، وأخذ يحرك ذراعيه بشدة ليحتفظ بتوازنه وهبط على ساقيه في الوقت المناسب ، لكن وقع سقطته على الطوار كان شديدا حتى انه حسب ان ساقيه كسرتا . . وكفاته السقطة الى الامام فأشرع يديه ليحمي وجهه من الارتضاض ، ثم أقام نفسه حتى اعتدل ، وكانت لويز والمفتش هندرسون في النافذة قد انضم اليهما الدكتور كوشران . . لكن ما لبث الثلاثة ان اختفوا فجأة . . فأدرك انه لم يعد أمامه لحظة يضيعها ، وشرع يعدو رغم الألم في ساقيه ، الى منعطف الشارع ، وإلى سيل السيارات الذي يتدفق صوب نايتسبريدج .

— تاكسى !

لم تستجب له اول سيارة أجرة عابرة ، وتطلع فشاهد شخصا يعدو في الطريق اليه ، لا تكاد تفصل بينهما سوى مائة ياردة ، فلوح كالمحموم الى سيارة أخرى واندفع من حيث كان على جانب الطوار ليقطع عليها الطريق ، فتوقفت السيارة فجأة واطل منها السائق وهو يهتف به :

— ستعرض نفسك لخطر الدهم بهذه الطريقة ايها الصديق ! انك لمحظوظ ان وجدتني مفتوح العينين

اعتذر له أورلاك وخطف نظرة الى الورا مرة أخرى ، فشاهد المفتش هندرسون عند المنعطف ، فما لبث ان فتش باب السيارة وهو يقول :

— الي سوهو . . بأسرع ما تستطيع .

— حسنا . . وانك لمحظوظ الا تجد نفسك في طريقك الى المستشفى . . أى ناحية في سوهو ؟ . .

— لحظة واحدة . .

كان أورلاك عندئذ يتطلع من نافذة السيارة الخلفية ؛ ليرى هندرسون يلوح لسيارة أجرة ، وما لبث ان هتف بالسائق :

— امض بأسرع مما تستطيع . . أريد ان تضلل تلك السيارة بمن خلفنا فلا تتبعنا . .

— حسنا ، لكننى لا ضمن لك شيئا ، فى زحمة المرور هذه .

اهتزت السيارة وهى تندفع الى الامام ، لكنها ما لبثت ان توقفت فجأة وراء اوتوبيس .. وراى اورلاك السيارة الاخرى تخفف من سيرها ، وكان ثمة سيارتان بينهما فى سيل المرور .. وشاهد بابها يفتح ، فاستدار محموما يتساءل فى قرارته هل من الافضل ان ينزلق خارج السيارة بدوره ويروغ من بين كل تلك السيارات الواقفة ، الى الجانب البعيد من الطريق .

لكن الاوتوبيس امامه تحرك فجأة ، فانعطف سائق سيارته فى شارع جانبي ، ثم انحرف ايضا الى اليسار ومضى فى طريق ضيق ..

— حسنا فعلت ..

قالها اورلاك مشجعاً .. فرد عليه السائق :

— لا تفرط فى الثقة .. ان هذا الطريق لا يؤدى بنا الى اى مكان .. انه يعيدنا الى الشارع الرئيسى ..

— وما قصدك من ذلك ؟ ..

فضحك السائق وقال :

— اريد ان اكون وراءه .. انه لا يستطيع ان يستدير ، وكل ما علينا ان نختار لنا انعطافة حقيقية هذه المرة ، بينما يظل هو ، يمضى قاطعاً طريقه الى بيكاديللى ..

فمال اورلاك الى الامام فى مقعده ، حتى انعطفا مرتين واتجها الى الشارع الرئيسى . كان السائق محققاً تماماً .. فقد كان الطريق الذى يسير فيه زقاقاً يبدو فى اتصاله بالشارع الرئيسى كالهلال مفتوح الطرفين ، وما لبث ان شاهد الشارع الرئيسى من جديد ، مزدحماً بسياراته .

ووصلا الى المنعطف ، فمرت من جوارهما سيارتان ببطء .. فتساءل السائق :

— هل هى احدى هاتين السيارتين ؟ ..

— اعتقد ذلك .. اظن انها السيارة الثانية ..

— اذن فقد كانوا اسرع مما اعتقد .. فلنمض الآن ..

وأطلق بوق سيارته وانضم الى حركة المرور ؟ وكان ثمة ثلاث سيارات أخرى بينهما ، وبين سيارة هندرسون ، فتطلع أورلاك من النافذة برأسه ، ووجد في نفس اللحظة أن هندرسون يخرج رأسه من السيارة التي أمامه ويتطلع نحوه .

وعندئذ أخرج أورلاك ورقة مالية من حافضته ، وألقى بها من فوق كتف السائق لتسقط في حجره ، وصاح به يشكره ، ثم قفز من الباب في الوقت الذي ربطت فيه سيارة نقل كبيرة على فراملها حتى لاتصطدم به بينما انحرف أورلاك ليلوذ برصيف المرور القائم في منتصف الطريق . . واستطاع من مكانه أن يلمح هندرسون وقد خرج بدوره من سيارته ، وأخذ يتحين الفرصة ليمرق من بين السيارات العابرة . .

غامر أورلاك ، فاندفع في مسافة ضيقة بين أوتوبيسين يسيران جنباً الى جنب ، وأخذ يعدو معهما ، ثم انحرف الى الجانب الآخر وقفز على الطوار ، وتطلع من جديد ليرى المفتش هندرسون يقف الآن على رصيف المرور . .

أخذ يمرق من بين السابلة . . الى محطة نايتسبريدج ، قدخلها مهرولا ، وأخذ يبحث في جيوبه عن عملات صغيرة ، ثم هبط الدرج معجلاً الى قلب المحطة ، واندفع ليلحق في آخر لحظة بقطار متجه الى الشرق ، قفز فيه قبل أن تنغلق أبوابه . . وألقى بنفسه في مقعد وهو يتنفس الصعداء .

وما لبث أن سمع صوتاً بجواره :

— معسدة . .

كانت أعصابه متوترة الى الحد الذي أوشك معه أن يقفز . . وإذا بامرأة بجانبه قد مدت يدها اليه بكتاب وقلم . .

— أنت ستيفن أورلاك . . اليس كذلك ؟ هل تسمح بالتوقيع لى فى هذا الأوتوجراف ؟ . .

فوقع فى عجلة ، بأصابع مرتعدة . .

نزل أورلاك من القطار فى ميدان ليكستر ، واتجه شمالا الى
مضيق ، وتوقف عند أحد اكشاك التليفون ليعرف عنوان النادى
الذى سمع باسمه من لويز « اندفليكس » ..

كان الملهى يقع فى شارع اغفله تماما فى بحثه السابق عن
نيرون ، وعند ما وجدته لم يدهش لانه كان شارعاً لا تدب فيه
الحياة . كانت المحال على الطوارىء مغلقة ، وكانت نهاية الطريق
مسدودة بمخزن . أما مدخل الملهى فكان مدخل حانوت عادى
على واجهته مصباح كهربى خافت ، يضىء لافتة .

وعندما أوشك أن يقترب من الملهى ، جاءت سيارة الى الطريق
فاختبأ أورلاك فى أحد أبواب المحال ، ولمح السيارة تتوقف تجاه
مدخل الملهى ويهبط منها المفتش هندرسون ، يتبعه رجل آخر .
ثم يتخذان طريقهما على الطوارىء فى خطوات متسقة .. الى داخل
الملهى ..

تحرك أورلاك ليزداد قرباً من المدخل ، فاكشف ممراً ضيقاً
يحاذيه ، وما لبث أن خطا فيه بضع خطوات ليجد نفسه فى
مواجهة باب آخر ، قد فتح قليلاً ، فدفعه ومضى فى ممر آخر
ضيق ، بعد أن تناهت اليه ضجة الموسيقى والاحاديث ..

وجد ستاراً أمامه فدفعه ، واذهب وجهها لوجه امام ريجينا .
كان الضوء ساطعاً ، فتعرف كلاهما على الآخر بسرعة ، ورفعت
ريجينا على الفور يدها الى فمها وحاولت أن تتراجع من حيث
يجاءت ، لكن أورلاك أمسك بها من معصمها . وقال فى تبجهم :

— طاب مساؤك يا مدام فاسير ! .

— لست أدري ماذا تقصد !

حاولت أن تخلص نفسها من قبضته ، وفى الوقت نفسه تبحت
بعينيها عن مهرب ، فدفع بقدمه باباً من خلفها وهو يقول :

— هل هذه حجرتك ؟ ..

فأومات برأسها ، وقد ابيض وجهها !

– ثيرون .. أين هو ؟ ..

فقلت بضعف :

– على خشبة المسرح ..

فدفع بها الى داخل الحجرة ، كانت صغيرة رثة باردة قد
انتشرت فيها رائحة عطر رخيص ، ووجد الجزء المقطوع من
صورته مثبتا في حافة المراة ، بجوار زهرة صناعية مزركشة ..
فأشار نحوه :

– اذن .. فأنت تنكرين انك قمت بدور مدام فاسير ..

تطلعت اليه في خوف وقالت :

– حسنا اذن .. لقد فعلت .. لكن الفكرة لم تكن فكرتي

لقد اضطررت الى ذلك ..

ثم تعلقته به من كتفه :

– أنت لا تدري هول ما مر بي .. اننى أعيش مع وحش

ضار .. انه يمتلىء غبطة وسعادة من إيذاء الناس ، لا سيما

إيذاى .. ثم .. هناك أنت ..

وارتعدت :

– انه لا يريد منك مالا .. مجرد قوة .. قوة على الضرب

والإيذاء .. ليحكمك على أن تفعل ما يأمرك به ..

– لكن لماذا .. لماذا ؟ ..

فهزت كتفها :

– لماذا يسعى الانسان وراء القوة ؟ ان ثيرون كان عازفا على

الكمان يوما ما ..

فلاحت الحيرة في وجهه ، وهو لايدري الصلة بين هذا وذاك .

– انه يقول انهم سلبوه فرصته .. ان الحسد هو الذى جعله

هكذا ، مثلما جعله حب المال ..

ثم أضاء وجهها :

– لكنهم سيأتون لاعتقاله ..

ونظرت اليه في دهشة ، اذ لم يبد عليه أنه أدرك ما تعنيه ..

واستطردت :

- البوليس بالطبع .. ألم تعلم ؟ ..
- من أين لى أن أعلم ؟ ..
- السيدة .. ألم تقل لك السيدة .. زوجتك .. لقد جاءت
الى بعد ظهر اليوم .. وقالت انها ستعمل على ارسال البوليس ..
وفجأة عاد الخوف الى ملامحها وصوتها :
- لكن نيرون سمع ما كنا نقول .. وهدد بأنه اذا حضر
البوليس ..

واتسعت حدقتها وأردفت :
- لماذا لا يأتون يا سيدى ؟ ..
- انهم هنا الآن يا ريجينا ..
كان ذهنه الآن يسابق الأحداث !
- لقد جاءوا فى نفس اللحظة التى جئت فيها .. ودخلوا الملهى
ثم أمسك بها من كتفيها وهتف :
- أخبرينى يا ريجينا .. بما مقدار صلتك بنيرون ؟ ..
- أتريد أن ترى ما لحق بجسمى من رضوض .. نتيجة
معاملته ؟ ..

- أعنى منذ متى تعرفينه ؟ ..
- عامين .. أو ربما ثلاثة أعوام .. لست أدري بالضبط ..
ما قيمة الوقت مادام قد نجح فى أن يجعلنى كالعروسة للعبة
أأمر بأمره ؟
- إذن أخبرينى بسرعة ، قبل أن يعود ، هل سبق أن ذكر لك
شيئا عن فاسير .. هل كان يعرف فاسير حقا ؟
فهزت رأسها نفيا :

- كلا . لم يكن يعرف فاسير ، اننى موقنة من ذلك ، لاننى
أكنت معه ساعة أن كان يتحدث بخطته . لقد أراد أن يوقعك فى
أقبح بعد أن يستخدمنى كطعم . ثم حملنى على أن اذهب الى زوجتك
بعد أن ادعيت اننى مدام فاسير ..
وتوقفت عندما تصاعدت نغمات عالية من المسرح . واتسعت
حينئذ من الفزع :

- هذا ديلى يا سيدى .. اما الآن ، وقد عرف نيرون اننى

تحدثت الى زوجتك ، قصصا من اجلى ! . ادع الله ان يكون
البوليس يراقب كل شيء .

وتحركت صوب الباب وفتحته . فابتدورها !

— الافضل لك ان تبقى . . .

لكنها هزت راسها .

مكث اورلاك ينتظر حتى تنهى اليه من وراء الستار في نهاية
المر صوت تصفيق متناثر يحيى به الرواد ريجينا عند ظهورها .
ثم تطلع الى يدي قاسير في ذراعيه وعرف يقين تام بما سيفعله
بالضبط . . ترك قياده لليدين . . وصار ذهنه نظيفا ، باردا ،
لخاليا من كل فكر . . متحررا من كل تردد او شك .

غادر الحجرة واقترب من الستارة في نهاية الممر ، فازاحها
بعض الشيء . . ووجد انه في جانب مسرح صغير ، كان نيرون
قائما في وسطه . . الى جانب صندوق كبير ضخم . اما ريجينا
فكانت تنحنى للجمهور وتخرج في الوقت نفسه عصائب وتخيوطا
ملونة من صندوق صغير على مائدة .

ومالبث ان راي نيرون يتقدم من ريجينا ويضع حول فمها
عصائبه ، ثم ينحنى ليربط قدميها من الكعبين فادرك انه سيقوم
بالعبة المألوفة — لعبة السيوف — التي سيدفع بها خلال
الصندوق الكبير لتخترقه بينما تكون ريجينا بداخله — دون ان
تضاب بأذى .

ربط نيرون ذراعي ريجينا من الرسفين . . وابتسم وانحنى
للحضور ، وأخذ يستحثها على التراجع خطوة خطوة ، لتدخل
الصندوق . وعندئذ ، لمح اورلاك نظرات ذعر طاغ في عيني الفتاة .
حاول ان يزيح الستارة اكثر ، على امل ان يجد هندرسون
ورقيقه . لكنه ما لبث ان تراجع عندما شعر من نبض يديه ان
ونجال البوليس هم في الواقع آخر من يريد رؤياهم الآن . ليس
بعد على اية حال . .

اغلق نيرون الصندوق . واخذ الجمهور الذي بدأ يشعر
بالسأم يصفق تمهيدا لبدء العمل — بينما دقت الطبول دقاتها
المتوالية ، فدفع نيرون بأول سيف من ثغرة في جانب الصندوق .

وعبر المسرح واقترب من الصندوق من الناحية الأخرى .
ودفع فيه بالسيف الثانى .

ثم انحنى وتقدم الى صدر المسرح وهو يمسك بالسيف
الثالث . رفعه فلمع على سنانه انعكاس الضوء ، واستدار ودسه
فى الباب الامامى للصندوق . ثم انحنى مرة أخرى ، بينما ارتفع
تصفيق خفيف من نهاية المسرح ، وانسل من بين الستائر .

ونخفت التصفيق ، وكذلك الموسيقى - كأنما كان قائد
الاوركسترا يتوقع المزيد من نيرون ، ولا يدرى ماذا يفعل بالضبط
وفجأة ، انبعثت صرخة امرأة من حيث لا يرى اورلاك . وقفوا
هندرسون على خشبة المسرح ، وهروك صوب الصندوق ، وعندئذ
فقط لمح اورلاك خيوطا من الدم تتسرب من قامه نحو اضاء
المسرح الامامية . وفتح المفتش باب الصندوق وشاهد اورلاك فى
لمحة أخرى ريجينا وقد جمدت عيناها هولا ، بينما الدم يتدفق
من معدتها وفخذيها .

تحول اورلاك عندما سمع وقع خطوات بالقرب منه . وظهن
نيرون من احد ابواب الممر ، وهو يخلع عنه عباءة الساحر بعنف
حتى تكاد تتمزق ، ثم اندفع كالسهم الى حجرة تغيير الملابس .

تقدم اورلاك بسرعة وعزم ، ثلاث خطوات قطعها فى غير ضجة
اوصلته الى باب الحجرة . فتحه وانسل الى الداخل ، ثم اغلقه
واقفل الباب بالمفتاح ، واخرجه منه . وهنا فقط سمع نيرون
ضوت المفتاح يسحب . كان يمسح عن وجهه بسرعة مساحيق
الدور ، فاستدار ورأى اورلاك عند الباب .

تواجهها مرة أخرى فى لحظة صمت . شعر اورلاك بساقية
تضعفان وهو يرى نيرون على ذلك القرب . وجاهد ليحول عينيه
عن تلك النظرات المحدقة التى كان يعلم جيدا انها ستخلع عنه
كل قواه .

مد نيرون احدى يديه وهتف ؛

- اعطنى هذا المفتاح !

لم يجب اورلاك . امتنع عليه اللسان . شعر بنفسه من جديد
يتحول الى مجرد وسيلة وأداة ليديه . اذ بهما تتصاعدان من

جنيبه ؟ أصابعهما تنقرج وتنقبض وتشقان الهواء . ثم تقفزان
فجأة الى الامام صوب نيرون ، الذي تراجع وتعثر في مقعد . لكنه
بما لبث ان انحنى وتناول المقعد ورفع رأسه .

انقض عليه اورلاك في الوقت الذي طوح فيه بالمقعد ، فمر من
فوق رأسه . وامتدت اليدان الى عنق الرجل الطويل . لكن
نيرون التف فجأة ودفع بركبتيه في احشاء اورلاك ، في ضربة اليمة
قذفت به ، وهوت برأسه على زجاج مائدة التزيين فتحطم وتطايرت
شظاياه .

قام يتطوح ، في نفس الوقت كان نيرون يقذفه بالمقعد . لكنه
اقلت من يده بشدة ، وبدلا من ان يندفع المقعد صوبه ، وجد
اورلاك نيرون مندفعاً اليه فامسك به من كتفه بينما كانت عينها
نيرون تحدقان ، وانفاسه تتلاحق ، وسدد الى عنقه لكمة بكل
قواه . ثم سقط الى الورا عندما دفع الرجل الطويل بركبته في
امعائه من جديد . وتطوحت ذراعه تبحثان عن شيء يستند اليه ،
وما لبث ان اسقط في محاولته حفظ توازنه كل ما عثرت به يداه
من عرائس (واحقاق) وزجاجات . فالتقط نيرون احدي
الزجاجات من عنقها وشرع يتقدم وهو يلوح بها في وجهه .

أخذ اورلاك ، والزجاجة تقترب منه ، يرفس برجليه كالمحموم ،
وقد اسند جسمه الى مرفقيه على حافة مائدة التزيين . وشهق
نيرون اذ تلقى ركلة في بطنه ، طوحت به عبر الغرفة بقوة الى الباب ،
فاصطدم مؤخر ظهره بالمقبض ، واطلق صرخة الم وهو يتعد . .
ويده على ظهره ، بينما كان اورلاك قد اشرع ذراعيه ليقتله .

سمع صيحات وهرولة اقدام في الخارج ، لكنه لم يعبأ .
وامسك بنيرون من عنقه واسقطه على الارض متجاهلا الضربات
التي ما فتئ يسدها اليه من قبضتيه المعروقتين ، ثم رأى الدعن
يطل من عينيه . . بينما كان هو يزداد ضغطا على عنقه ويقول
كدا على اسنانه .

— قد كنت أنت ! . . أنت . . كانت بريئة . . كانت مجرد
ضحية اخرى . رايت ذلك في عينيها . . كنت أنت . . أنت !
انبعثت من حلق نيرون خشخشة اختناق . وانثال خيط من

الزبد على شفتيه فأطلق أورلاك صيحة انتصار وجعل يشدد
الضغط ملقيا بكل ثقله ، ليفرغ من مهمته .

وفتح الباب فجأة . ورأى أورلاك في لحظة خاطفة المفتش
هندرسون يقف على الباب ، ووراءه رجال البوليس . وإذا
بأيد قوية تمسك بذراعيه من الرسغين ، وترفعه قائما على قدميه
وهندرسون يصيح :

— حسنا .. حسنا .. هذا يكفي .. سنتولى أمره .

جاهد أورلاك ليصل الى الرجل من جديد وهو يصرخ :

— دعونى امسك به !
لكنهم كانوا قد جروا نيرون واقاموه بدوره على قدميه ، وهو
يشهق في طلب الهواء وقد تقبضت اصابعه على عنقه .
وقال المفتش :

— الافضل ان تدع ذلك للقانون يا سيدى .
وشعر أورلاك بالقوة تفارق يديه .. فمدهما في استسلام من
غير ان يرفع بصره عن الارض . لكن لم يحدث شيء ! فما لبث ان
رفع بصره ليلتقى ببصر هندرسون وتساءل :

— ألن تقبضوا على ؟

فقال هندرسون في هدوء :

— كلا .. لست اعتقد ذلك .

— الافضل ان تفعل .

قالها أورلاك ثم تطلع من جديد الى يديه ، بادية الندوب .
فقد شاع الشحوب فيهما من فرط تشديد قبضتيهما على عنق
نيرون . واستطرد :

— ألم تخبركم زوجتى ؟ لقد حاولت قتلها . اننى لست مأمون
الجانب !

ومد يديه من جديد ، لكن هندرسون لم يعبا بهما ، فصاح
في عصبية :

— ألا تسمعنى ؟! انهما هاتان اليدان .. اننى لا استطيع
السيطرة عليهما .

فأخرج هندرسون صحيفة من الورق من جيبه . وقال :

— ليس ثمة عيب في يديك يا مستر أورلاك . الأفضل ان
تقرأ هذه .

وقدم له الورقة . ولاحظ أورلاك ان الغرفة التي كانت قد
اكتظت بالوافدين قد خلت الآن الا منه ومن هندرسون . فنظر
الى الورقة وقراها . لكنه لم يفهم لكلماتها معنى ، فتساءل عما
تفيد ، واجابه المفتش :

— انها من ادارة الامن في باريس يا سيدي . لقد اوسلنا
بصماتك لمضاهاتها على بصمات فاسير . لتعرف هل هاتان اليدان
تنتميان فعلا الى ذلك القاتل . كانت تلك فكرة زوجتك . . .
والدكتور كوشران .

فتساءل أورلاك في نبرة من لا يساوره اقل شك .

— حسنا . . وهل وجدتها متطابقة ؟

قال ذلك في عدم اكتراث ، كان الموضوع لم يعد يهمه !

— نعم . . كانت متطابقة يا سيدي . . الا ان . .

فانفجر أورلاك :

— كنت اعلم ذلك !

ثم شرع يقبض بكل يد على اليد الاخرى كالمحموم ، كأنما
يريد ان ينتزعها من المعصم . وانبثق الدم عندما غارت بعض
أظافره في ندبة من الندوب المنتشرة . فخف اليه هندرسون
ليمنعه ، وانتهره صائحا وهو يدع الورقة تسقط من يديه ويفصل
يدي أورلاك احدهما عن الاخرى :

— كف عن ذلك ! ليس من شأنك و لا يهمك ابدا انها متطابقة !

لقد اعيد النظر من جديد في قضية لوى فاسير . .

ترك أورلاك يديه تسقطان الى جنبيه . كأنهما مخدرتان . .

وتساءل في غير فهم .

— ماذا ؟

— انها قضية ملعونة ياسيدي لكن لم يعد ثمة شك فيها على

ما يبدو . لقد كان المسكين بريئا !

— بريئا ؟

— نعم . . وقد تمكنوا من اعتقال المجرم الحقيقي . واعترف

بدأ المعنى ينساب في ذهنه رقيقا كقطرات ماء تساقط ببطء
من مرشح . وأخذ الاضطراب والغموض والخوف واليأس ينزاح
تدرجيا . فرفع يديه وشرع يتفحصهما في تساؤل وعجب . ثم
عادت سحابة من الشك تطوف بذهنه :

— هل أنت متأكد ؟

— اننا لا نقطع بشيء يا سيدى قبل أن تكون متأكدين تماما
منه .

— لكن . . . اذا كانت هاتان اليدان بريئتين . . فمن أين كانت
تواتينى القوة ؟ ومن أين كان يجيئنى الحافز على القتل ؟

فالتقط هندرسون لفافة من شرائط المشمع مما تنثر على
الارض واقتطع منها جزءا ثبته على الندبة في يد أورلاك ، وكانت
لا تزال تشخب دما . ثم تساءل ، لكن تساؤله كان مفعما بالمعاني :
— ألا يمكن أن يكون هناك قوتان يا سيدى . . قوة نيرون ، في
حينه المنطاطيسيتين من جانب . . ثم قوة . . الخوف من جانب
آخر ؟ !

وخرج المفتش من الغرفة فتبعه ، وعبرا الستار في نهاية الممر
الى قاعة الملهى الخالى . وتطلع أورلاك الى خشبة المسرح ، وقد
انتشر فيها ضوء خافت . فابتدره المفتش ، وهو ينظر اليه مطمئنا .
— كل شيء مرتب يا سيدى . . سيكون عليك بالطبع ان تدلى
بتصريحات . . ثم أن هناك محاكمة نيرون . لكن كل هذه الاشياء
ستأتى فيما بعد . عد الآن الى منزلك يا مسيو أورلاك . انهم
ينتظرونك هناك !
ينتظرونه ؟

عبرا الدرج الى مسكنه طويلا وهو يصعده . ولاحت في
حركاته حيرة ، كأنه غير موقن تماما من وجهته . وعندما فتحت
لويز الباب أدرك أن الانباء قد سبقته . لم تكن تبسم حقا ، لكن
لاح في وجهها هدوء ودعة لم يعهدهما منذ ذلك الحادث . وكان
الدكتور كوشران يقف وراءها ، يحمل له كأسا قد صب فيها شيء
من الشراب .

— لويز . . . فرانسيس . . .

قال ذلك بهدوء وهو يمد لهما يديه . فتناولت لويز كلتا يديه ورفعتهما اليها وضغطت عليهما بشفتيها . ومن ورائها لاح له موريس سيدلمان .

تقدم في الغرفة . رأى مسكنه بوضوح هذه المرة . . لأول مرة . المدفئة الكهربائية ، والمقاعد الوثيرة ، والاريكة ذات الوسائد . لكن الوسائد كانت قبيحة . أدرك انها عارية من الاغطية . . ربما تكون لويز تصنع الآن اغطية جديدة .

— موريس . .

— يا صديقي العزيز . لقد جئت هنا يوم الخميس . ظننت ان من الاوفق — بسبب فشل ذلك الحفل — ان نعيد لهم تقديم بيتهوفن الذي افتقدوه !
— اسوناتا ؟

قال ذلك وهو يحرك يديه ، ثم فتح غطاء البيانو . وجرى باصابعه على مفاتيحه في غير جهد . ثم بدا يعزف ، وقد اغمض عينيه نصف اغماضة ، واخذ ينسجم تدريجيا في جو بيتهوفن ، وهو يدرك في الوقت نفسه — وان كان ادراكا ضئيلا — وجود ثلاثة اشخاص حوله ، هم كل جمهوره في ذلك الوقت . وما لبث ان شعر بان هذا الجمهور قد تحول الى شخص واحد .

وعندما فرغ من معزوفته ، وجدها قائمة بجسواره . رفع يديه عن مفاتيح البيانو ، واتجه بهما نحوها ، فضحكت :
— ان هذا يامسيو أورلاك . . فعل سييء ، ذلك الذي توشك ان تأتبه !

— ربما . .

ووضع يديه حول عنقها ، ثم انحنى ليقبلها ، وهو يهمس اليه في رقة :

— يستطيعان ان يأتيا كل فعل سييء يريدان . . فلم اعد اخشاهما بعد الآن !

((تمت))



الدار القومية للطباعة والنشر

وزارة الثقافة والإرشاد القومي

الدار القومية للطباعة والنشر

تعمل على تحقيق الثورة الثقافية التي نأري بها الرئيس جمال عبد الناصر

الفتاهرة

مركز عالمي للإشعاع الثقافي
كتاب كل ست ساعات

مكتبات الدار

نيويورك لندن
الجزائر بيروت
طرابلس بغداد
الخرطوم الإسكندرية
القاهرة

Bibliotheca Alexandrina



0540406